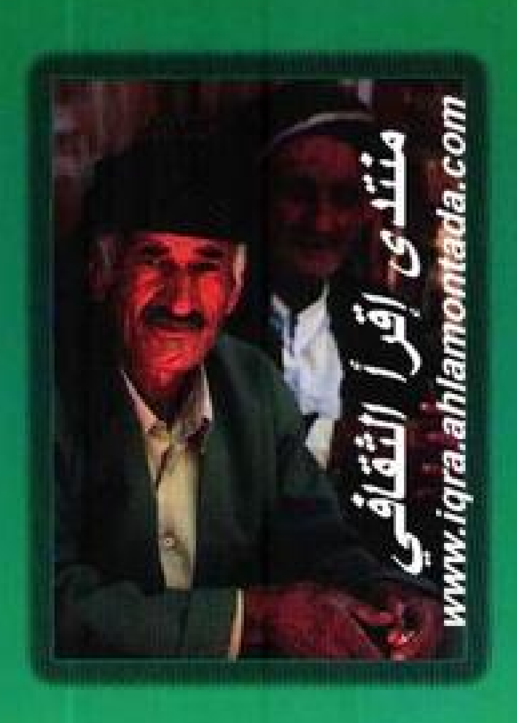
الدكتور حسين قاسم العزيز



دراسات عن

بعض الأصول الكردية






منتدى إقراء الثقافي

دراسات عن
بعض الأصول الكردية

الدكتور حسين قاسم العزيز



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

الدكتور حسين قاسم العزيز
دراسات عن بعض الأصول الكردية
منشورات اراس رقم: ١٢٨٥
الطبعة الاولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ٦٠٠ نسخة
مطبعة اراس - أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٥٦٥ - ٢٠١٢
التنضيد والاخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البنا

ردمك:
ISBN: 978-9966-487-53-9

فهرست الكتاب

المقدمة

تجلى خلال دراسة بعض ابداعات السومريين والأكراد والايرانيين الذهنية الفنطازية، المتخيلة (Fantastic) عن الجذور الأسطورية لملحمة النوروز الشعبية، مدى ما يكتنف أصول الأكراد والسومريين من غموض وإبهام وتعتيم بما يدعو الى التفكير بالعلل الجوهرية لإشكالية هذه التقنية. وإن مما يثير الدهشة والإستغراب في معظم بحوث من تصدّوا لموضوع الأصول من علماء وباحثين مختصين أكراد وعرب ومستشرقين، ابتعادُها عن الواقع الفعلي الصلد ولجوءها الى أرض هشة من الإفتراضات والتخمينات عن الموطن الأصلي (المهد) والانتماء العرقي وعائدية لغة السومريين والأكراد، سواء بسواء، التي لا تمتلك أدلة مادية وحجما منطقية، وإنما هي في أغلبها مجرد احتمالات ضعيفة ليس بينها من افتراض يمكن ترميمه على سواه. فكان لهذا الأمر قوة دفع وتحريك شجّعتنا على تخطي صعوبات التحدي وباشرنا للإسهام بالتضامن بمقال لينشر في مجلة [روشنبيرى نوى] (المثقف الجديد) بيد أنّ توسع نقاش مختلف الإفتراضات والتخمينات بإسهاب، أخرجه من مجال النشر في مجلة الى إعداده كمؤلف. وإذا كان الاختصاص بالتاريخ القديم وعلوم العراقة والإنسان والآثار وفقه اللغة ودلالات الرموز يشكّل مرتكزا أساسيا للباحثين في الاصول ويشكل غياب الاختصاص، بالطبع، عقبة بالغة لدراسة معمقة، بيد أنّ تجاوزها من أجل الاسهام في مناقشة اشكالية قضية الأصول تكون ممكنة اذا ما تهيأت دراسة واسعة وشاملة

ومستندة على أبحاث المختصين وعلى المستجدات منها وعلى أن تكون متحلية بروح التجرد الموضوعي بتحررها من ضيق الأفق العلمي والسياسي ومن النظرة الأحادية الجانب للمواضيع وأن تأخذ بالحسبان الشروط الظرفية المقررة للثوابت والمسيرات المتحكمة في مسيرة التطور البشرية، فتتحرر من سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي لتنطلق في تحليلاتها واستنتاجاتها العلمية بصواب على ضوء إدراك العلاقة الجدلية التي تربط الوعي والادراك بمستوى أسلوب الانتاج وتطوره التي كيدما يغفلها أو يتغافلها عمداً أصحاب تلك الافتراضات النائية عن الحقيقة والواقع الملموس، حسبما يفترضون ، مثلا.. وجود مجهولين ابعد من السومريين رقيا وسكنا في جنوب السهل الرسوبي بوادي الرافدين بينما كانت المنطقة مغمورة بالأحراش والمياه حتى أطلق عليها أوائل السومريين أرض سومر Ki-en-gi (أي أرض احراش القصب والبردي) قبل اعمارها، فأصحاب تلك الافتراضات يعتبرون أولئك المجهولين أرقى في سلم التطور الحضاري من السومريين الذين توصل مجتمعهم ذي الانتاج الزراعي المتطور الى مرحلة متقدمة أكثر، طبعا، من مجتمع لم يبلغ أنتاجه مستوى أرقى من مستوى إنتاج السومريين وكان حرياً أن تنسب المقدمات المادية لتطور السومريين الى أسلافهم بشمال لعراق الذين تمكنوا من التحرر التدريجي من طور جمع القوت FoodGathalings tage الى طور انتاجه Food procucing stage بتدجين بعض النباتات البرية والحيوانات ومن ثم تعلم الزراعة ولكن أصحاب تلك الافتراضات يتحاشون مد صلة الترابط الحضاري بين جنوب العراق وشماله الجبلي، الذي هو الموطن الأصلي لأسلاف السومريين ولأسلاف الأكراد معا إلا قليلا وبشكل إفتراضي غير مسند بأدلة مقنعة وعادة ما تكون مسبقة

بألفاظ ثم على التحرر من التوكيد مثل : (يقال، وقيل، ويظن: بأنهم كانوا بشمال العراق) بينما المكتشفات الآثارية تشير الى السبق الحضاري الذي تحقق في المنطقة الشمالية قبل المنطقة الجنوبية.

لقد وضع السومريون بعد أن نزحوا من شمال العراق وحلّوا بالسهل الرسوبي بجنوب وادي الرافدين واستصلحوا أراضيه وطوروا إنتاجهم الزراعي، أسس حضارية أمتد تأثير أشعاعاتها النيرة أفقيا عبر مناطق جغرافية شاسعة من بلدان الشرق الأدنى وعموديا عبر آلاف السنين من تاريخ تطور الحضارة الإنسانية ومع ذلك جرى تجاهل أصولهم العرقية واللغوية حتى صار الحدس والتخمين سبيلا للتعرف على أسلافهم ومهدهم وإنتمائهم الجنسي وعائدية لغتهم، كأنهم قومٌ مجهولون ولم يضعوا اللُبنات الأولى للمعرفة الإنسانية وفي مقدمتها الكتابة. وإذا كانت فرص التقدم أمام المجتمع الكردي القديم ضئيلة لظروفه البيئية وتخلف وضعف مستوى وأسلوب إنتاجه، بالقياس الى السومري، حتى لم يتمكن من تكوين كيانات سياسية متطورة بمستوى الدول وإنما دويلات أو إمارات ومجموعات قبلية متخاصمة غير موحدة، ولم يتم التوصل الى تعلم الكتابة والتدوين باللغة الكردية الاصلية، غير أن ذلك لا يبرر إهمال تاريخ الكرد وتجاهل أصولهم فهم لم يكونوا قوما مجهولين أو أناسا خاملين وأنما كانت لهم اسهامات في أحداث تاريخ المنطقة سلمية أو عنيفة وتشهد بذلك النصوص المسمارية السومرية والأكدية والبابلية والاشورية وغيرها، فالدويلات أو الأصح الإمارات الكردية السوبارية (السوئية) واللولوبية والگوئية وغيرها قد لعبت دورا مؤثرا في أحداث المناطق المجاورة لهم، التاريخية، كما برزت شخصيات كردية لها دور متميز كـ يوسف صلاح الدين الأيوبي وكريم خان مؤسس الإمارة الزندية

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بإيران وغيرهم. لم ينل تاريخ الأكراد، برغم ما ذكرناه آنفا، أية عناية أو إهتمام حتى غدا يشكل حلقة مفرغة في تاريخ الشرق الأوسط وقد يحمل الأكراد ببعض ما لحق بتاريخهم من أهمال لعدم تمكنهم من تدوين تاريخهم بأنفسهم وبلغتهم الكردية وهذا عائد الى عدم توصلهم الى الكتابة بلغتهم لعوامل جرى ذكرها أعلاه، غير أن التقصير الكبير يعزى الى عدم إلتفات المؤرخين الى تاريخ الأكراد إلا مؤخرا في نهاية القرن التاسع عشر، لهذا كان لمجازفة الاسهام بالنقاش الدائر حول الأصول ولها ما يبررها إذ لا يجوز التغاضي عن الإجحاف والمغالطات المفترضة وطالما كان القصد من الإسهامة اناره السبيل في ديجور عتمة مضللة وتقليص شقة الخلاف بين العلماء حول الأصول.

واذا كان البحث قد توصل الى وجود قرابة نسب واضحة متينة بين السومريين والأكراد، على إعتبار ان سلفهم، سكان العراق القدماء الجبليين واحد، برغم ما بينهما من اختلاف لغوي وعرقي، لتعرض الاكراد للموجة الهندو- أوروبية الغازية الكاسحة، فأنتموا الى العائلة الهندو - أوروبية اللغوية والجنسية (الآرية)، بينما سلم السومريون من التعرض لتلك الموجة فحافظوا على نقاء وسلامة لغتهم وعرقهم. إضافة الى اختلاف ظروفهما البيئية الجبلية بالنسبة للأكراد والسهلية المستنقعية بالنسبة الى السومرين والى إختلاف قاعدتيهما الاقتصاديتيين، إلا أنهما بقيا محتفظين بمؤشرات عديدة تدل على قرابتهما منها تأثرهما بالبيئة الجبلية، التي بقيت مؤثرة لدى السومريين في مختلف إبداعاتهم وإنتاجاتهم العقائدية والأدبية والملحمية والفنون التشكيلية برغم ابتعادهم عن المنطقة الجبلية وسكناهم في المنطقة السهلية القهرية، وممارستهما

الاحتفال بعيد رأس السنة الربيعي بنفس الزمن والمراسيم والطقوس واحتفاظ السومريين بأدلة شمالية وبنفس أسمائها، و أخيرا مصطلح كور السومري الذي من معانيه الجبل والعالم الأسفل والعمى يطابق الألفاظ الكردية الكور : القبر والكور يعني العمى وغيرها. نقول اذا كان البحث قد توصل الى وجود قرابة نسب واضحة متينة بين السومريين والأكراد، ولا نظن بأن أحداً قد سبقنا الى ذلك، فأنه قد لا يكون مقبولاً بسهولة غير أنه يصلح أن يكون مادة للنقاش طالما أن المنطقة الجبلية بشمال وشمال شرقي العراق كانت الملاذ والملجأ الوحيد لسكان العراق القدماء وقد كشف الآثاريون (گارّود، سوليكي، سپايزر، أوبنهايم، وآخرون..) رفات أقدم مستوطني الكهوف والمغاور في شاندر وزرزي وهزارميرد وكريم شهر وغيرها.

إن السؤال الذي لم يجب عليه أصحاب الإفتراضات والتخمينات العديدة عن أصول الكرد والسومريين وفيه الدليل الواضح على أصول السومريين والأكراد، السؤال هو: ماذا حل بأحفاد الجبليّين الشماليين سكنة العراق الشماليين القدماء؟

فإذا كان الأكراد في مناطقهم الجبلية المنعزلة وأوائل السومريين، قبل رحيلهم الى الجنوب كانوا في المنطقة الجبلية التي يسكنها الأكراد ذاتها، أفليس من المنطقي أن يكونوا ، الأكراد وأوائل السومريين قبل هجرتهم، ذرية أو نسل سلفٍ واحد! هم أولئك العراقيين الشماليين الجبليين الذين لم نعثر لهم لحد الآن على تسمية خاصة بهم؟

أن الإجابة على هذه المسائل المعقدة هي التي اجازت للبحث أن يتحمل مسؤولية المجازفة في الإسهام بمناقشة علماء وباحثين مختصين كبار حول أصول السومريين والأكراد والذي ادى بطبيعة الحال الى الاسهاب

في عرض النصوص بينما كان المفروض وفق سياقات منهج البحث العلمي الحديث السليم الاقتصار على جذاذات قصار. ولمّا كان البحث مهيّئاً في البدء كمقال للنشر في مجلة ثم توسع الى هذا الحال فأن أسلوبي كتابة المقالة وتأليف رسالة أو بحث علمي قد استخدما معاً مما أقتضى التنبيه والإعتذار .

١٤١٤/١/٤ هـ

١٩٩٣/٦/٢٤ م

بغداد

القسم الأول

اصول الكُرد

دراسات عن بعض الأصول الكردية[1]

توطئة

يُعالج البحث على ضوء معطيات ما تيسرت مطالعته، أصولاً للكرد ولا تزال أقساما منها يكتنفها غموض و لبس وتعتيم، كما لم تحصل لدى علماء وباحثين، كرد وعرب ومستشرقين، من المهتمين بالشؤون الكردية، قناعة تامة ورأي قاطع ثابت موحد بصدد غالبية الأصول، كما بيّن المستشرقون، ق. ف. مينورسكي، باسيل نيكيتين، م . س. لازاريف، ن . أ. خالفين و جليلي جليل والعلامة الكردي المرحوم محمد امين زكي، د.شاكر خصباك، د.عبدالرحمن قاسملو، الاستاذ جلال الطالباني، د. كمال مظهر أحمد، الباحث السوري المقدم منذر الموصلي. د. جمال رشيد احمد بالإشتراك مع د. فوزي رشيد والأستاذ فؤاد حمه رشيد.

ومع أن الكرد لم يكونوا طوال وجودهم، عنصرا خاملاً، بل على

---

١. يرى المقدم منذر الموصلي ان صيغة «كورد» هي الأنسب مع ان حركة الضم تعوض عن حرف الواو ويكرر الآداء عن صلة لفظه بالأصل الفارسي وأنها تشترك في المعنى مع كلمة (كاردو) البابلية أو (غورد) الفارسية والتي تعني المقاتل أو المحارب أو الشجاع، في مؤلفه الضخم عن الأكراد «عرب وأكراد، رؤية عربية للقضية الكردية»، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٧ . وقد سبق لـ د.قاسملو أن عرض اراء العلماء بصدد كلمة كرد وإرتباطها بـ كردوخي وبالكوريتين وبكلمة غورد الفارسية في مؤلفه«كردستان والأكراد، ترجمه ثابت منصور، بيروت، ١٩٦٨، ص٧-٢٦ والهامش رقم (١) طبعة بيروت، ١٩٧٠ ص ٤٠ والهامش ٣٧، ص٣٥٩».

العكس كانت لهم إسهامات فاعلة ومؤثرة، واحيانا عنيفة[٢] وبصورة مباشرة وغير مباشرة، في أحداث المنطقة، إلا أنه قد جرى إهمال دورهم وتجاهل تاريخهم[٣] مما أدّى ويؤدي الى خلل والى أحداث حلقة مفرغة في تاريخ الشرق الأوسط. كما أشار الى ذلك د.كمال مظهر احمد، في مستهل مقدمة مؤلفه «كردستان، في سنوات الحرب العالمية الأولى»[٤] فتأتي معالجتها هذه في إستعراض بعض ما اختلفت بشأنه وجهات النظر المتباينة، لتسهم بتواضع في تقديم ما قد يساعد على تخطي بعض الصعاب وتمكّن من التوصل الى تفهم وإدراك أدق يبعد غموضاً وعتمة عن إشكاليات قضايا متقاطعة في نظر علماء وباحثين بخصوص موطن الكُرد الأصلي (مهدهم) والمناطق التي استوطنوها بعد انتشارهم وتفرعاتهم القبلية القديمة وإنتماءاتهم العرقية واللغوية، وقد ارتأينا إتماماً للبحث، إضافة معالجة موضوع أصل السومريين ومقارنته باصول الكرد، ولم يأت إجراؤنا هذا لمجرد ما تجلى لنا من تشابه كبير بينهما، في تعرضهما سوية للعتمة والغموض ولتناقض الآراء حول أصولهما ومهدهما ولغتهما وعرقهماواسلافهما الجبليين ولإشتراكهما بإحتفال عيد

---

٢. أنظر م. س. لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١-١٩١٧ (بالروسية) موسكو ١٩٧٢، وقد كتب (كان الشعب الكردي مساهماً دائميا وفعالاً في كافة الأحداث العاصفة التي هزّت المنطقة منذ الأزمنة القديمة حتى أيامنا) ص٣ . وهذه الجملة لم تكن موجودة في مؤلفه السابق«كردستان والمشكلة الكردية » بالروسية، موسكو ١٩٦٤ . ان ما يؤيد قول لازاريف هو ما كان يقاسيه السومريون والألايون والبابليون والآشوريون وآخرون من هجمات الأكراد الدائمية.

٣. أنظر دكتور قاسملو، كردستان والأكراد، طبعة ١٩٦٨، ص٢٦ و طبعة ١٩٧ س٣٩ .

٤. ترجمه عن الكردية الأستاذ محمد ملا كريم، بغداد ١٩٧٧، ص١٠ .

رأس السنة الربيـعي في نهـاية آذار وبداية نيـسـان من كل عـام، وإعتبارهما الانقلاب الفصلي بصورة متشابهة رمزا لتطلعاتهما الى الحرية والانعتاق فحسب، وانما لإعتقادنا بوجود رابطة نسب بينهما في أبعد أعماق تاريخهما، أيام سكنى أسلافهما بمنطقة واحدة، بالشمال الجبلي، مما يرجح احتمال اعتبارهما ذرية سلف قديم واحد قبل ان يفترقا بهبوط السومريين الى جنوب السهل الرسوبي بأسفل وادي الرافدين ومكوث الأكراد القدماء بمواقعهم بالشمال الجبلي.

فيأخذ إذ ذاك منحنى تطورهما بالإختلاف والتباين، فمن هنا أفترق مسار تطورهما الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والحضاري، حيث تسنى للسومريين ارتقاء سلم التطور بوتائر اسرع وبخطى أمتن وتطوير بنيتهم الذهنية الحضاري لإنطلاق طاقاتهم المبدعة والرائدة بعد هيمنتهم على ظروفهم البيئية وتسخيرهم إياها لصالح تطوير وتكثيف انتاجهم الزراعي، بينما بقي الأكراد أسارى ظروف بيئتهم الجبلية العازلة وغير القادرة على الاستجابة للاحتياجات المتزايدة من تنامي السكان لشحة انتاجها لقلة الوديان والسهول الصالحة للزراعة ولأنسياب الانهار في مسيلات عميقة ضيقة ضئيلة النفع في ارواء مزروعاتهم ولأمطارٍ آخذة بالتذبذب والإنحسار عاماً بعد عام فضعفت لديهم العوامل الموضوعية والذاتية، ولم يعد بمقدورها أن تهيء شروطا ظرفية للتقدم والإزدهار مما حملهم على الانتشار والغزو. ان تلك الظروف هي التي حرمت الأكراد الشماليين الجبليين من اللحاق بركب نسائبهم السومريين، سكنة السهل الرسوبي الجنوبي، الحضاري.

إن أفترضنا، وحسب ظننا، لم يسبقنا أحد في التطرق إليه، فلا يستبعد أن يلاقي صدوداً ولن ينال قبولاً هيناً لأسباب لا مجال لذكرها.

بيـد أن انتـهـاج البـحث العلمي السليم، وهو شـرط اسـاسـي ومن مـستلزمـات النجـاة من التـعـصب، يتطلب التـعـمق والتـجرد الموضـوعي، بالتحرر من سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي، وتستلزم الدقة العلمـيـة تحـديد مـا يسـتـعـمل من تعـاريـف ومـصطلـحـات ومـدارك (مـفـاهـيم Consipt , idea)، فـالمقصـود بالشـمـال الجبلـي، هنا، المنطقـة الشمالية والشمالية الشرقية من العراق الحديث، كما يقصد بالجبليين الشـمـاليـين سكان العـراق الأقـدمـين، الذين لم يـعـثـر لهم لحـد الآن على تسمية خاصة بهم، وأما كردستان فتشمل المناطق الجبلية في غرب إيران وجنوب شرق تركيا وشمـال شرق العراق وتلحق بها مناطق أخرى ضيقة في سـوريا وأرمـينيـا والقـوقـاز، وأمـا إيران فـمـصطلح جـغـرافـي يضـم عناصر مختلفة من فرس وبلوج وعرب وأكراد وHذريين.

يشكل الاخـتـصـاص بالتـاريخ القـديم وبالاركـيـولوجـيـا (علـم الآثار) والفيلولوجيا [فقه اللغة] والسـيـمـانتكس [السـيـمـانطيقا Semantica علم دلالة الألفاظ] و[السيماسيولوجيا semasiology علم تطور دلالات الألفاظ] و [السـيـمـيـولوجي symlology دراسـة الرمـوز وتفـسـيـرها]، والتـنقّـحـر [Tnansliterate = ينقحـر= ينقل حـروف لغة الى حـروف لغة أخـرى، يكتب لغة بحـروف لغة أخرى- قـامـوس المورد ص٦٨٥]، والأنثروبولوجيا (علم الإنسـان)، مرتكزاً أسـاسـيـاً يسـتند عليـه أي باحث ملتـزم يروم تقـصّي جـذور قـوم تمتـد مـوغلة في مـاضـي سـحـيق، حـذار السـقـوط بشـراك التسطيح والتبسيط ومن فضـاضـة الإنشاء والهذر السفسطائي ولتلافي الخطأ الشنيع.

بيـد أن تعذر الأخـتـصـاص بفروع المعـرفة الاسـاسـيـة الآنفة وبـبـعـض العلوم الموصلة والمساعـدة. يجب أن لا يقف حـائلاً دون إسـهـام البـعض،

بقدر ما في معالجة الموضوع وما يثار حوله من نقاش فيما لو سمّت لديه الإحاطة والمعرفة وتعمق بحثه بنهج علمي سليم، وهو ما ينبغي الإلتزام به. وتأتي معالجتنا في هذا السياق اعتمادا على دراسة مؤلفات بعض ذوي الاختصاص وبنظرة شمولية توفر فرص التحرر من التعنصر الذي يحرم المبتلي به من صفاء الرؤية الثاقبة المعمقة بل يدفع به التعنصر حتى الى تجاهل المواقع وتزييف الحقائق، بجنف واعٍ ومتعمد عن المنهج العلمي، بإختلاق الحقائق ولوي أعناقها، حتى ينتهي به الأمر الى الضياع في متاهات معتمة الأعماق فيتخبط فيها خبط عشواء ويحصد كحاطب ليل ويتوسل بأوهام ويجري وراء ما تخيل من سراب ظاناً بأن ما يلفقه بفذلكة خادعة سيغشي الجميع ويبقى تأثيره سارياً لأمد مديد.

المبحث الأول

دوافع بعض الدراسات

تتجلى في معالجات ، ق. ف. بارتولد و ف. ف. مينورسكي و يوسف أبكاروفيچ اربيلي ومن تلاهم، باسيل نيكيتين و م. س. لازاريف وقناطي كورديف و ن. أ. خالفين وجليلي جاسم جليل وآخرين سواهم، العلمية المعنية بالمسائل المتعلقة بجوانب متعددة من الشؤون الكردية والمعتمدة على المكتنز أكثر من أرشيفات العهد القيصري من تقارير وبحوث ودراسات وعلى الزيارات الميدانية لأغلبهم الى المناطق الكردية. تتجلى في معالجات العلماء والباحثين المذكورين أعلاه، سعة الموروث من دراسات وبحوث وتقارير العلماء والرحالة والمبعوثين الدبلوماسيين الروس القيصريين في القرن الماضي قياساً لنتاجات الآخرين من نظائرهم الغربيين. لقد سبق للمستشرق أ. خودزكو (A. chodzko) أن نوّه في مقدمة دراسته للبحث في اللغة الكردية (اللهجة السليمانية)[5] الى

٥. المنشور في المجلة الآسيوية، العدد التاسع لعام ١٨٥٧ .

A. chodgbs etudes philologiqurs sur la langue kurde (dialecte de soleimanea) journal asiatique, 1857, 5ser T.XPP 997-356.

ترجم د. معروف خزنەدار البحث ونشره ضمن كراسه «محفوظات فريدة ومطبوعات نادرة» ضمن حلقة دراسات كردية الجزء الأول، بغداد ١٩٨٧ بعنوان لا بحث في اللغة الكردية (اللهجة السليمانية)، ص ٥٨–٦٨ وقد أغنى الترجمة بمقدمة وشروح وتعليقات كما ذكر في الهامش رقم (٢) ص ٥٨ بانه أذاع بحثا طويلا عن بعضها خودزكو وأعماله باللغة الكردية من القسم الكردي في اذاعة بغداد سنة ١٩٦٨ في سلسلة احاديثه عن الاستشراق الاوربي والكرد، كما نشر ترجمة المقدمة الى اللغة الكردية في مجلة شمس كردستان العدد ٤٢ سنة ١٩٧٦ ص٣٤–٣٩ . لا شك ان العنوان يجب أن يكون بحوث أو دراسات لأن كلمة Edutes الفرنسية بصيغة الجمع وليس المفرد.

زيادة اهتمام العلماء الروس بقوله :(أهتم المستشرقون الروس اهتماماً كبيراً خلال السنوات الأخيرة وعملوا بحماس في ساحة الأدب الكردي أكثر من أهتمام علماء الدول الأوربية الأخرى)[٦] وقد أثنى خودزكو علي انتاج المستشرق پ . ليرخ (١٨٢١ –١٨٨٤) P. Lerch عن اللغة والأدب الكردي[٧] .

لقد أشار د.معروف خةزنةدار الى هذه الأهمية بقوله : (للتعرف على أعمال ليرخ في حقل الدراسات الكردية يجب الاطلاع والرجوع الى عمله العلمي الكبير الذي يقع في ثلاث مجلدات) أنظر پ. ليرخ دراسة عن الأكراد والإيرانيين واجدادهم الخالدين الشماليين، بطرسبرج، الكتاب الأول ، ١٨٥٦، الكتاب الثاني ١٨٥٧، الكتاب الثالث ١٨٥٨ «باللغة الروسية»، وقد نشر الكتاب باللغة الألمانية[٨]، كما كتب دكتور معروف خەزنەدار توطئة لموضوع «موجز تاريخ حياة طائفة من الشعراء الكرد الكلاسيكيين» للمستشرق الروسي اليكساندر ژابا .A jaba[٩](نشر في أواسط القرن المنصرم كتابا بعنوان «رسائل وحكايات كردية»[١٠] باللغة الكردية والفرنسية، وهو سفر عظيم الشأن، جليل القدر يضم بين دفتيه معلومات مفيدة عن القبائل الكردية وأخباراً فريدة عن الشعراء الكرد الكلاسيكيين ونصوصاً رائعة من الإبداع الشعبي، والكتابة بمثابة دائرة معارف لجوانب واسعة من الشؤون

---

٦. مخطوطات فريدة، ص٦٤ .

٧. ن. م.، ص٥–٦٤، الهامش رقم (٢٠) .

٨. مخطوطات فريدة..، ص٥–٦٤، الهامش رقم (٢٠) .

٩. ن. م. ، ص٦٩–٧٥ .

10.A.jabae,Recueil de notices et recits kurdes seranta la connaisance de langue,et des tribus de kurdistan reunis et troduits francies 1860.

الثقافية القومية للشعب الكردي، فيه صفحات مشرقة من تأريخه ولمحات رائعة من أدبه وإشارات ذكية الى تراثه)[11] لقد أظهر د.كمال مظهر أحمد كذلك نصوصاً تشيد بمكانة ب. ليرخ العلمية وجهوده في حقل الدراسات الكردية حتى أطلق عليه لقب «الكردي الصغير» وقد نبّه د.كمال الى أن عنوان كتاب ليرخ، دراسات حول الأكراد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين لا يتطابق مع مضمونه وأن المستشرق نفسه ألتفت الى ذلك فأصدر الجزء الأول والثاني[باللغة الألمانية] بعنوان يختلف عن العنوان الرئيسي[12] .

غير خافٍ على كل ذي رأي ثاقب وبصيرة نافذة أن المحرك الاساسي للنشاطات الإستشراقية في أغلب الأحوال هي المصالح العليا للدول الاستعمارية المتنافية لتحقيق أطماعها التوسعية في منطقة كردستان السوقية(الإستراتيجية)، مع وجود استثناءات فردية لدوافع شخصية لأغراض علمية وإنسانية. وكان للدولة القيصرية الروسية آنئذٍ رغبة شديدة في التدخل في شؤون إيران والتوسع على حساب الرجل المريض (الدولة العثمانية) في تركيا وفي الولايات التابعة لها.

لا شك إذن في أن مصالح الدولة القيصرية واطماعها التوسعية وقرب مناطق الأكراد منها ومتاخمة (في آذربيجان و أرمينيا) لأراضي الدولة القيصرية بل ولوجود أكراد في نتوءات بعض مناطق القفقاس من أثر في تعاظم اهتمام السلطات القيصرية بالشؤون الكردية حتى غدت مراكزها العلمية وأرشيفاتها غنية بالدراسات والبحوث والتقارير عن الشؤون الكردية المختلفة.

---

١١. مخطوطات فريدة ومطبوعات نادرة، ص٦٩ .

١٢. كردستان، ص٦٢ هامش ٨٣، أنظر أيضا الصفحات ٢-٦١ والهوامش ٨١ و ٨٢ حول النصوص التي أشرنا اليها أعلاه.

أن ذلك يستدعينا دوماً أن نعي بإهتمام الدوافع الحقيقية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسوقية، وراء تلك الإسهامات العلمية.

يُركز د.كمال مظهر أحمد على دوافع ذلك الاهتمام الواسع في قوله :(يرتبط تغلغل نفوذ روسيا القيصرية في كردستان واهتمامها بها، بتوجهاتها منذ قرون سبقت الحرب العالمية الأولى نحو مناطق القفقاس والمياه الدافئة وفيما بعد بأطماعها الواسعة في الشرق الاوسط، وهي عوامل تحولت في مجموعها الى أحد العناصر المحركة الفعالة للمسألة الشرقية المعروفة. هنا أيضا ظهرت مقدمات التغلغل مع رحلات الاستطلاع التي قام بها عدد كبير من الرحالة الروس بنشاط ملحوظ)[١٣] وكان د.كمال قد استعرض في مؤلفه «كردستان» [المقدمة ص١-١٨، الفصل الأول، بعنوان بداية الأطماع١٩-٧٩] دور المصالح والمطامع الاجنبية في دفع بعض الدول الغربية لإرسال مبعوثيها للتجول في مناطق كردستان ودراستها وتقديم التقارير والتحقيقات والدراسات وقد ذكر من خلال استعراضه المسهب مساعي الألمان والانكليز والروس القيصريين ثم الفرنسيين والأمريكيين، الولايات المتحدة، مخصصا للروس مجالا أوسع [ص٤١-٦٧] وذاكرا في النص الذي نقلناه عنه آنفاً، الدوافع التي حملّت السلطات القيصرية على مضاعفة اهتماماتها بشوون المناطق الكردية. ومع تقديرنا العالي لتحليله العلمي الدقيق لدوافع دراسة المنطقة بيد أن ملاحظةً، وإن كانت شكلية، تستدعي العرض والنقاش.. فقد أورد د.كمال توضيحا أطلق فيه مصطلح «أستكراد» على بعض المستشرقين من العلماء السوفييت من المعنيين بشؤون الكرد التاريخية وليس فيهم - حسب إطلاعي- من أهتم بفقه (فيلولوجيا) اللغة الكردية حتى يُنعتوا تجاوزاً .. بالمستكردين.

بل وأن أحدهم وهو د. جليل جاسم جليلي، كردي الأصل، كما هو

---

١٣. كردستان. ص٤١-٢ .

معروف كتب عنه د.معروف خەزنەدار: (جعل المواطن السوفيتي الكردي جليل جاسم جليل«قيام الأكراد في سنة ١٨٨٠» موضوعاً لأطروحة الدكتوراه في التاريخ وقد طبعت الأطروحة في ١٩٦٦ في موسكو باللغة الروسية)[١٤] لقد ورد في توضيح د.كمال النص الآتي: (درس المستكردون السوفيت، وأخص منهم الدكاترة ن. أ. خالفين و م. س. لازاريف وجليلي جليل، العديد من الجوانب المهمة من تاريخ الكرد في القرن الماضي، ومن العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بتلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي)[١٥] يتضح ان هؤلاء كانوا يصفون بتأريخ الكرد وليس بفقه اللغة الكردية. وأحسب أن د. كمال استعار مصطلح «الاستعراب» الذي يطلق على المعنيين باللغة العربية فحسب ولقد أستعمل هذا المصطلح «الاستعراب» الخاص بالأجانب في هذه الحالة لذلك فأن نعت المستشرقين الثلاثة بالإستكراد، على قباحة معنى استعماله في مصر وبعض البلدان العربية، للدلالة على الجهالة والغفلة، غير دقيق.

تتجلى سعة الجذور العلمية المنتقاة من العهد القيصري في أبحاث العلاّمة ف. ف. بارتولد [أنظر الأعمال الكاملة له، الجزء السابع الخاص بالبحوث التاريخية لجغرافية وتاريخ إيران[١٦] القسم ١٢ كردستان وما بين النهرين[١٧] والقسم ١٣ الجبال الى الغرب من همدان [١٨] وكذلك أنظر

---

١٤. الأكراد(تأليف ف. ف. مينورسكي، بطرسبرج، ١٩١٥ بالروسية. وترجمه د.معروف خەزنەدار)، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٧ هامش رقم ١٦، والهامش يعود للمترجم.

١٥. كردستان ، ص١٠، الهامش رقم (١).

١٦. موسكو، ١٩٧١، (بالروسية).

١٧. الأعمال الكاملة، الجزء السابع، ص١٨٩-١٩٧ .

١٨. ن. م. ، ص١٩٨ - ٢٠٤ .

العلامة ف. ف. مينورسكي دراسات في التاريخ القفقاسي بالإنكليزية[19] والأكراد، ملاحظات وانطباعات[20] وأعمال العلامة يوسف أبكاروفيج أربيلي[21] وباسيل نبكتين و د. م. س. لازراني، كوردستان والمسألة الكردية (تسعينيات القرن التاسع عشر -١٩١٧)[22] والمسألة الكردية (١٨٩١-١٩١٧)[23] ود.جليل جاسم جليل، من تاريخ الإمارات في الامبراطورية العثمانية[24] ود. ن. أ. خالفين الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر)[25] وكورديف، ك. ك. أعمال پ. ي. ليرخ في الدراسات الكردية، حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا، في كتاب «دراسات في تاريخ الاستشراق الروسي»][26]

---

١٩. راجع: Minorslay v.studiedn cucasian history, London 1953 .

٢٠. ترجمه د.معروف خەزنەدار، مشار إليه سابقا.

٢١. الأعمال المنتخبة، اكاديمية علوم ارمينيا السوفيتية، بالروسية، يريڤان، ١٩٦٣ والأعمال المنتخبة المجلد الأول من تاريخ ارمينيا الثقافي والفني للقرون ١-١٣، بالروسية، موسكو ١٩٦٨ .

٢٢. موسكو، بالروسية، ١٩٦٤ .

٢٣. موسكو بالروسية، ١٩٧٢ .

٢٤. ترجمه الى العربية د.محمد عبدو البخاري، دمشق ١٩٨٧، وترجمه عن الروسية الى الكردية د.كاووس قفطان. «كوردەكانى ئیمپراتۆریتی عوسمانی» بغداد ١٩٨٧ .

٢٥. موسكو، بالروسية، ١٩٦٣ .

٢٦. موسكو ، ١٩٥٩ .

المبحث الثاني

تخلف قدماء الأكراد في تطوير بُنيتهم الذهنية الحضارية

يشكو الباحثون في أغوار الماضي السحيق عن أصول الأكراد من انعدام النصوص المكتوبة باللغة الكردية وحتى من ندرتها عنهم في اللغات الأخرى، وغالباً ما يكتفون بالعرض دون التحري عن العلل الجوهرية لهذا النقص البارز، مع أن الأكراد كما ذكرنا آنفاً لم يكونوا عنصراً خاملاً وقد جاوروا بؤراً أتقدت مشاعل حضارتها مبكراً في فجر التاريخ فتألفت في مناطقها حكومات ولها كتابات خاصة بلغاتها أو بلغات أخرى، مثل بلاد الرافدين - السهل الرسوبي والهضاب المحصورة بين الجبال والسهل الرسوبي- وإيران وسوريا وفينيقيا وآرارات وأرمينيا[٢٧] .

إن عدم قدرة قدماء الأكراد في التخلص محلياً من معوقات اقدمهم مرتبط بالشروط الظرفية المتحكمة بسيرورة [عملية Process] تطورهم وليس بتركيبهم الجسماني، فبيئتهم الجبلية العزلة الشحيحة قد أثرت في تلكؤ وتأثر تطور أسلوب ومستوى أنتاجهم، الذي ساد فيه النمط الرعوي، مما ادى الى اضعاف وعيهم وادراكهم قياسا الى مجاوريهم المتحضرين المستقرين، ذلك لأن الوعي والادراك لهما ارتباط جدلي متين بأسلوب الأنتاج ومستوى تطوره. فكان سكان السهل الرسوبي بجنوب وادي الرافدين ولهم سبق الريادة والإبداع في التطور الحضاري، وسكان غرب

٢٧. أنظر: لازاريف، كردستان والقضية الكردية، ص٣ .

إيران وسكان سوريا وباقي الأجزاء المتحضرة المجاورة، قد طوروا أسلوب أنتاجهم ورفعوا مستواه فأجتازوا طور جمع القوت الى طور أنتاج القوت وأنتقلوا من المشاغبة البدائية الى العبودية فتأسيس المقدمات المادية لتشكيلة الإقطاع بينما ظلّ الأكراد تحت تأثير الشروط الظرفية يمارسون طور جمع القوت وإنتاج القوت وبقي نظام العشيرة القبلي سائداً لديهم ومعيقاً للإستقرار والتقدم. لأن النظام الرعوي كان يرغمهم على التنقل والإرتحال أنتجاعا للكلأ والماء فيحل التشرذم والخصام بدل الوحدة والوئام لإختلاف الظروف المناخية بالتبدلات الفصلية التي تؤدي الى خلق مبررات للإحتكاك والتخاصم والنزاع على أرض المشاع انتجاعا للكلأ وبين المستقرين الزراع والرحالة الرعاة الجياع، بل وبين الرعاة أنفسهم على الأرض المشاعة عند الاجتماع. كما تقوم الخصومة بين رؤساء القبائل من أجل الزعامة فيتسع التشرذم ويزداد هلاك الأتباع وتتقلص أمكانية الأكراد القدماء لتكوين دولتهم الخاصة بهم، وبالطبع ينسحب ذلك كله على مختلف جوانب حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والحضارية لأن أنتاجهم الاستهلاكي الضعيف، المبني على أسس الأكتفاء الذاتي، غير قادر على توفير مستلزمات نهوض المجتمع ودعم مرتكزات بناء هياكله الأساسية، لذلك لم تتوفر للأكراد القدماء فرص تكوين مجتمع مستقر متطور متقدم مثلما توفرت للآخرين من مجاوريهم المتطورين.

لذلك لم تتح لهم فرص تعلم الكتابة بلغتهم أو بسواها، ولم يمارسوا تدوين مجريات أحداثهم بأية لغة، إلاّ قليلاً. كما أن حياة التنقل الرعوية كانت ترغمهم على استخدام الأدوات البسيطة والخفيفة ولم يكونوا بحاجة الى التقنيات المطلوبة في المجتمع الزراعي المستقر.

المبحث الثالث

مُعوقات إدراك الأصول

تتجلى في العرض المتقدم أعلاه، العلة في انعدام النصوص والمدونات الكردية التي يمكن ان توثق ما يتعلق بالتاريخ الغامض المبكر للأكراد. يعتبر النظام (system) الرعوي السائد مسؤولا عن تلكؤ المجتمع الكردي القديم عن مواكبة مسيرة التطور التاريخية التي ساهمت شعوب من المناطق المجاورة للأكراد القدماء في التطور الأقتصادي والاجتماعي بعد ان تجاوزت تشكيلة (Formation) المشاعية البدائية الى العبودية فالإقطاع. ان هذا عاملاً موضوعياً كان من الصعب في حالة الرعوية تجاوزه. وتتعلق اسباب صعوبات بلوغ الأصول الكردية، ذاتيا، لا بالأكراد أنفسهم، وأنما بالعلماء والباحثين أنفسهم، فحتى ذوي الاختصاص منهم كانوا مصابين بضيق الأُفق العلمي والسياسي فلم يتحرروا جميعا من التحزب والتحيز، كما سنرى فيما بعد، فهم يفتقرون كثيرا الى ما يعزز منهج البحث العلمي السليم لديهم بالتجرد الموضوعي، بالتحرر من سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي، كما ذكرا قبلا، إضافة الى إفتقارهم لما يوثق افتراضاتهم من وثائق ومدونات وشواخص وآثار مادية فلجأوا الى الفيلولوجيا والأنثروبولوجيا ليسندوا ما أفترضوا على التشابه اللفظي في التسميات وفي الأوصاف الاثنولوجية Ethnological للهياكل العظمية (الرؤوس الطويلة والرؤوس العريضة) في تصنيف الأكراد الجنسي.

لذلك عانى العلماء والمختصون من هذه الأمور التي أعاقتهم عن البت برأي حاسم. لقد أشار العلامة محمد امين زكي الى معضلة معاناة هؤلاء العلماء، في حديثه عن «منشأ الكرد وأصلهم» في مستهل الفصل الثاني من مؤلفه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان»، بقوله (هذا البحث من أهم أبحاث هذا الكتاب وأصعبها تحقيقاً، لأن الآثار القديمة الخاصة بالشعب الكردي أو بكردستان، المكتشفة حتى الآن، لا تعطينا فكرة قاطعة عن أصل الكرد ومنشأهم، فلذا نرى أنه لم يحن الوقت بعد، الذي يمكننا فيه أن نبدي رأيا حاسما في مثل هذا الموضوع التاريخي)[٢٨].

لقد شعر العلامة الراحل، برغم سعة دراساته في تركيا وأوروبا والعراق ومتابعاته وأستشاراته لذوي الإختصاص من المستشرقين وزياراته الميدانية لمناطق عديدة من كردستان، بصعوبة البت برأي قاطع ما دامت صفحات واسعة من احداث تاريخ كردستان القديم لا تزال طي الكتمان[٢٩] ونضيف الى رأيه ما سبق ان ذكرناه من ضيق أفق العلماء بسبب تعصبهم وإنحيازهم وإفتقارهم للمصادر القديمة[العنتيكة Antique = الكلاسية، التقليدية classic] من مدونات ونقوش وأنصبة تذكارية وغيرها وخاصة ما كان منها باللغة الكردية.

ولذلك كتب الباحث السوري، المقدم منذر الموصلي، في مؤلفه الواسع المكرس لدراسة القضية الكردية برؤية عربية، يقول: (لم يختلف المؤرخون حول نسبة شعب أو أصله، كما اختلفوا حول الشعب الكردي، خاصة منهم علماء الأجناس ومؤرخي الاقوام والشعوب القديمة، ولن تجد رأياً لهؤلاء يتفق مع آخر كما لم يقطع مؤرخ أو عالم برأي حاسم فهو يورد

٢٨. ترجمه عن الكردية الأستاذ محمد علي عوني ، بغداد، ١٩٦١ (ط٢) ص٣٧ .

٢٩. ن. م. ، ص٨١-٢ .

عدة آراء ثم يعطي ترجيحا لواحد منها مجرد ترجيح)[٣٠] .

شكّل غياب النص الكردي، كما لاحظنا، لوسائل توثيق مسائل البحث عن الأصول الكردية نقصا بارزاً وخطيرا أدى الى تشويه الحقائق وتحريف التسميات وتنوع الأفتراضات والتخمينات المُبتعد أغلبها عن الدقة والصواب بخلاف فيما لو كانت النصوص مدوّنة من لدُن قدماء الأكراد أنفسهم وبلغتهم الكردية ذاتها عندها تصبح أدلة مادية لواقع ملموس فتدعم الرأي الحقيقي وتقصّي كل إفتراض تخميني عن أصل الأكراد وعرقهم ولغتهم وموطنهم ليس له بالواقع أي ارتباط. ان معظم الافتراضات سوف لن تصمد وهي تقف على أرض هشة مهزوزة طالما كان المستعان به والمستخدم لحد الآن من النصوص ليس بينها نص كردي واحد وإنما هي مدوّنة بلغات أخرى غير كردية بالطبع وأغلبها تعود لخصومهم، وهي [النصوص باللغات غير الكردية] لا تطلق على الكرد وعلى مناطقهم التسميات الخاصة بشكل صائب ودقيق، وإنما بصورة محرفة دائما (كورتي، كورتو، كاردو، گاردو، قوردا، كوردوك، كوردوئي، كوردوخي)[٣١]، أو بأسماء أخرى لا صلة لها بلفظة «كرد» وإنما بأسماء قبائلهم ومناطقهم، مثل (لولوبي، سوباري، گوتي، ميدي.. إلخ). ولم يتم الاعتراف بالصيغة الصحيحة (الكرد، الأكراد، كردستان) إلاّ في عهود متأخرة، ويمكن ملاحظة تلك التسميات التي أُطلقت على الأكراد في النصوص التي وصلتنا من

---

٣٠. ص ١٠٧، وقد أشار المقدم منذر الموصلي مراراً الى افتقار بحوث العلماء الى التجرد الموضوعي.

٣١. أورد العلامة محمد أمين زكي تسمية الأكراد قديما، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٧٤-٧٥-٧٦ .

العـهود القديمة حتى العـهود الإسـلامـيـة[٣٢] وللعـلامـة مـحـمـد أمين زكي مـلاحظة حـول الآراء والإفـتـراضـات بصـدد الأصـول حيث نبّـه:(ومـع ذلك ينبـغي ان نعلم ان هـذه الآراء والأفكار، ان هـي إلا نظريات وإجـتـهـادات بحته)[٣٣] ثم وضـح هـذه الحـالة بالنقص البارز لعدم العثور على نص كردي فيقول (لأننا لم نظفر الى الآن بوثيقة قيمـة نعول عليها تعويلا قاطعا في حل مـسـألة أصـل الكرد ومنشـئـهم)[٣٤] وبسـبب هذا النقص البـارز فـأن دراسـات ذوي الاخـتـصـاصـات لا تزال بعـيـدة عن الواقـع ولذلك أضـاف بقوله (ورغمـا عن هـذا فـأن تاريخ الكرد القديم لا يزال مكتنفا لحب الابهام والغـمـوض، التي نأمل كل الأمـل أن تؤدي مـبـاحث وحـفـريات البـعـثـات الآثرية العالمية الى العثـور عليها في القريب العـاجل ان شاء الله)[٣٥] وبعد ان يحدد المواقع الأثرية في كردستان التي يأمل ان تجرى فيها التنقيبات فأنه يأمل عندئذ:(فلا شك في ان هذه المسألة تحل حلاً كاملاً)[٣٦] إذ بدون توثيق كـردي النص لا تكتمل الدراسـات عن اصـول الكرد القـديمة، وهـذه عـقـدة ليس لهـا من حل، فـالكتـابة شـأنهـا شـأن حيـاة الأكـراد القـدمـاء السـيـاسـيـة، مـرتبطة بضـعف قـاعـدتهم الإقـتـصـادية جـراء نمط الإنتـاج الرعـوي بتـأثيـر الشـروط الظرفـيـة المذكـورة سـابقـا، فـظروفـهـم البـيـئـيـة أرغمـتـهم على العيش خـلال فصـول السنـة المتـغـيـرة بنمطيـة مـزدوجـة بين

---

٣٢. أنظر ق. ف. مــيـنورسـكي، الأكــراد. ص٢-٢١، نيكتين، الأكــراد. ١٣-٢٣، د.عـبـدالرحمن قـاسـملو، كـردسـتـان والأكـراد، ص١-٤٠، وليم ايغلتين الأبن، جمهورية مهاباد، ترجمة جرجيس فتح الله، ط١، ١٩٧٢، ص١٠-١٣، وغيرها.

٣٣. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٧٩-٨٠ .

٣٤. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٧٩-٨٠ .

٣٥. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٧٩-٨٠ .

٣٦. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٧٩-٨٠ .

الاستقرار والتنقل حارمة إياهم من تشكيل دولة خاصة بهم لها كامل مقوماتها من حدود معينة وشعار وشرائع خاصة مع كامل السيادة على أراضيها ولها جيوشها ومحاكمها وسجونها وحراسها وموظفيها ونقود وكتابة خاصة بها أو التدوين واستعمال كتابة متداولة بالمنطقة.

لا يجد المتتبع المدقق في تاريخ الكرد القديم كيانا له هذه المقومات والمواصفات المميزة، إلا في استثناءات جزئية ولفترات قصيرة محددة، تم فيها تشكيل كيانات في المجتمع الكردي القديم غير حائزة على مقومات الدولة بصورة واضحة وكاملة فكانت أقرب الى الأمارات والمشيخات منها الى الدولة. وأما السوئيين(السوبارين SU-BAR) الذين يرد ذكرهم احيانا بهيئة دولة، وهم الذين ذكرتهم الكتابات المسمارية القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد وفيما بعد، ومنطقتهم سوبار (سوSU تسميتهم، و بار BAR البعيد، الخارج، والبر الأرض اليابسة، وبالعامية: برّه = أي الخارج، والبرية = الصحراء)[٣٧] محصورة بين جبال زاگروس من جهة الشرق ونهر الخابور من جهة الغرب[٣٨] أي بنفس المنطقة التي قطنها الآشوريون[٣٩] فأنهم برغم ما بلغوه من شأن لم يستطيعوا تكوين دولة

---

٣٧. أنظر د.جمال رشيد احمد ود.فوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم، اربيل ١٩٩٠، ص٤١ وقد كتبا (وبذلك يكون معنى الأسم «سوبار» السوئيون الذين يعيشون خارج الحدود، ص٤١).

٣٨. أنظر د.جمال رشيد احمد ود.فوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم، اربيل ١٩٩٠، ص٤١ وقد كتبا (وبذلك يكون معنى الأسم «سوبار» السوئيون الذين يعيشون خارج الحدود، ص٤١).

٣٩. محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص١٠٠ أو يسميهم سوباري subri أنظر الأستاذ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ط١، ١٩٧٢، الجزء الأول، ص٧٦-٧٧ و٤٧٢، الجزء الثاني، ص٢-٣٦١ .

تتمتع بكامل التكوين والبأس. ويعزو مؤلفا كتاب تاريخ الكرد القديم علة ذلك بشكل صحيح الى :(انها كانت مناطق ذات موارد غذائية محدودة لا تساعد على الإطلاق على بناء دولة تنافس الدولة السومرية والأكدية والبابلية)[٤٠] وأما اللولوبيين، الذين تشير بعض المدونات القديمة الى تمكنهم في الألف الثالث ق.م من تشكيل ما يدعى بمملكة خمازي، وعاصمتها (زيمري)، وكانت اراضيهم تشمل المناطق الممتدة في سهول زهاو وشهرزور، الواقعة بين نهر سيروان وبحيرة أورمية(رضائية) ومركزها السليمانية[٤١] ولكن خمازي لم تستطع مقاومة الحكومات القوية. لقد كان نمط أنتاج مجتمع اللولوبيين الاقتصادي المعتمد على الرعي دون الزراعة من كبير الأثر في تخلخل كيانهم السياسي لضعف قاعدتهم الاقتصادية لتدني مستوى انتاجهم ومواردهم الاقتصادية. ويتضح ذلك فيما ورد في كتاب تاريخ الكرد القديم حيث جاء فيه ما يأتي:(وفيما يخص نوعية حياة اللولوبيين الاقتصادية خلال الألف الثالث قبل الميلاد فأن النصوص الاقتصادية التي جاءتنا من مدينة كاسور (تحول الأسم فيما بعد الى نوزي) قد بينت لنا على أنهم كانوا يعيشون على تربية الحيوانات والمتاجرة بها، أي أنهم كانوا مهتمين بالحياة الرعوية أكثر من اهتمامهم بالحياة الزراعية، لأن التجار آنذاك كانوا يعتبرون منطقة اللولوبيين خير سوق لبيع الحبوب)[٤٢] فلم يقوَّ إذن كيان اللولوبيين السياسي، لضعف قاعدتهم الاقتصادية، على الصمود بوجه دول طامعة غازية، فقد أشار د. هاري ساكز عند حديثه عن انتصارات الملك نرام –

---

٤٠. ص٤٣ .

٤١. تاريخ الكرد القديم، ص٤٣، أنظر: محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٦٠ .

٤٢. تاريخ الكرد القديم، ص٤٦ .

سين الأكدي، بقوله (وفي الشمال الشرقي تغلغل نرام – سين المنطقة المعروفة حاليا بالجبال الكردية، واخضع لفترة قصيرة على الأقل، القبائل الجبلية التي عرفت فيما بعد باللولو Lullu وأقام منحوتة كبيرة نحتت على صخر في أعالي الجبال ما تزال موجودة على الرغم من التلف الذي أصابها)[٤٣] بينما يشير «تاريخ الكرد القديم» الى جانب آخر من تلك الغزوات التي تعرضت لها بلاد اللولوبين بقوله (وهكذا كانت بلاد اللولوبيين مسرحا للإنتفاضات المحلية والحملات العسكرية الآشورية عليها الى نهاية الحكم الآشوري في أواخر القرن السابع قبل الميلاد)[٤٤] ثم يذكر تعرضهم لهجمات الميديين والآثار الشاخصة لحملاتهم الباقية في كهف قزقبان. لكن العلاّمة محمد امين زكي في اعتماده على ابحاث المستشرقين والباحثين (أولمستد، هويزنغ، سپايزر وآخرين) يذهب الى غير ما عرضناه أعلاه، فهو يقول عن اللولوبيين: (ويؤخذ من الوثائق الآشورية المتخلفة عن عهد الملك «آشور ناصربال» الثاني أن بلاد اللولو كانت على جانب عظيم من العمران والحضارة، كما ان أهاليها كانوا متقدمين في الصنائع والفنون بدرجة ان هذا الملك الآشوري نقل كثيرا من أرباب الفنون والصناعات من أهالي البلاد المذكورة الى بلاد «آشور» (اولمستد). ويذهب البرفسور (سپايزر) الى ان هؤلاء اللولوبيين أجداد وآباء الشعب اللوري الحالي)[٤٥] .

---

٤٣. عظمة بابل، ترجمة وتعليق د.عامر سليمان ابراهيم، فرنسا ١٩٧٩، ص٧٠، حول هذا النص انظر ايضا: العلامة محمد امين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٨٣، الاستاذ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص٣٦٩، وانظر تاريخ الكرد القديم، ص٢٩-٣١ .

٤٤. تاريخ الكرد القديم، ص٥٢ .

٤٥. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٦١ .

إن عيب من اعتمد عليهم العلاّمة محمد امين زكي من العلماء هو في نظرتهم الأحادية للأمور إذ لا يجدون ضرورة ربط القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعضها ببعض، فكم كان باسيل نيكيتين محقا في لومه ولا نقول تقريعه للآثاريين الذين يوجهون جلّ وأقصى عنايتهم باللقى المكتشفة دون أي إهتمام برفات أولئك الذين خلفوا وراءهم تلك الآثار[٤٦] . لذلك نقول بأن مستوى وأسلوب انتاج مجتمع اللولوبيين الرعوي كان لا يساعدهم على تحقيق قفزات نوعية في سلم التطور الحضاري في مسار التطور التاريخي العام للبشرية.

ومع ان الگوتيين كانوا الأكثر احتكاكا والأوسع توغلا في السهل الرسوبي بوادي الرافدين فنالوا شهرة أوسع ونفوذا اكبر وتأثرا أكثر من الآخرين، من السوئيين واللولوبيين والخوريين(الهوريين)، بيد أن مجتمع الگوتيين، الذين كانوا يقطنون في المنطقة (الواقعة جنوب سهل شهرزور، اي في المنطقة المحصورة ما بين نهري الزاب الأسفل ونهر ديالى والذين اتخذوا من آرانجا (مدينة كركوك الحالية) مركزا لهم)[٤٧] كان يفتقر هو الآخر الى مقومات تدعم هياكل بنائه الأقتصادي والسياسي والاجتماعي والحضاري لأن انتاج نظامهم الرعوي كان أيضا ذو مردود ضعيف بالقياس الى انتاج المجتمعات المتطورة المجاورة، فكان ضعف قاعدتهم الاقتصادية سببا في تخلفهم السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري.

---

٤٦. الأكراد، ص١٤ الهامش ويذكر بأنه يشعر بالخنق الشديد لأن علماء الآثار لم يأبهوا اطلاقا للبقايا الانسانية التي كانوا يثرون عليها، انها بربرية علمية اقترفها رجال يدعون أنهم رجال علم.

٤٧. د. جمال رشيد احمد ود. فوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم، ص٥٣ .

المبحث الرابع

موطن (مهد) الأكراد الأصلي

يعد الخوض بهذا الشأن من أصعب الأمور وأعقدها لتنوع الافتراضات وتقاطعها، فأغلب العلماء يقصون الأكراد الأقدمين، ولاسيما أسلافهم، عن مناطق كردستان الحالية، إلاّ قلة منهم تذكر غربي إيران (ميديا) وجنوب ارمينيا وشرقي تركيا الجنوبي وأطراف شمالية في العراق.

لقد استعرض ف. ف. مينورسكي وجهات نظر علماء مختلفين حول موطن الأكراد الأصلي وقد اطلع عليها وأفاد منها العلاّمة محمد امين زكي والأستاذ جلال الطالباني و د.شكري خصباك والمقدم منذر الموصلي. وخلاصة الآراء ان الموطن الأصلي بين جبال زاگروس ومنابع دجلة العليا ونهر ديالى. لأن هناك قبائل وجدت في هذه المنطقة وان لم تطلق عليها نقطة الكرد، وانما عرفت بالنسبة لأراضيها أو لزعمائها أو أطلقها عليهم غيرهم ، أو أنهم أكراد بلا شك، كالميديين والسوباريين واللولوبيين والگوتيين والكاردوخيين واللريين.. الخ، إن الأسلاف الأقدمين للأكراد هم ولا شك من سكنة شمال وشمال شرقي العراق منذ أقدم العصور الحجرية حيث كانت المنطقة مأوىً وملاذاً للبشر وقد دلت التنقيبات الآثارية في شاندر وزرزي وهزار ميرد وكريم شهر وغيرها على قِدم استيطان الشماليين الجبليين وبقيت الاجيال تنتشر في المنطقة طلبا للعيش حيث كانت تمارس طور جمع القوت من جني الثمار وصيد الحيوانات حتى بدء تدجين بعض الحيوانات والنباتات البرية وتعلم الرعي

والزراعة وظهرت أولى القرى الفلاحية في المنطقة، وتعرضت المنطقة لموجة غزو كاسحة هندو اوروبية أحتلت ميديا اولا ثم شمال العراق وامـــتـــزجت بالسكان المحليين فـــورث هذا الخليط بعض الميـــزات الانتروبولوجية واللغوية للعرق المتغلب.

لذلك فأن اعتماد التشابه اللفظي للكلمات بما فيها كلمة كُرد مع غورد والجماجم الطويلة والجماجم العريضة للرؤوس المفحوصة عن بعض الهياكل العظيمة التي عثر عليها في المواقع الأثرية ليس كافيا لإلصاق الأكراد بالفرس الآريين بإعتبار أن الأكراد هم من الآريين أيضا (الآري: الشريف بالسنسكريتية) ولكن هذه مغالطة وذلك لأن الأكراد الميديين، الذين تعرضوا لموجة غزو كاسحة هندية اوروبية. يُعتبرون آريين إيرانيين بحكم موقعهم الجغرافي في إيران وليس بإنتمائهم للفرس الإيرانيين الآريين الذين كانوا في جنوبي غرب إيران بينما الميديين في شمال غربي إيران. وكان الميديون يشكلون فرعا من كرد العراق الأصل، الذين انتشروا خارج العراق كرعاة وللتغيرات البيئية التي أخذت تقلل من عطائها فليس صحيحا القول أن الأكراد والفرس الحاليين من أرومة واحدة. صحيح ان الفرس هم ايضا تعرضوا لموجة غزو هندو- اوروبية آرية، لكن الأكراد لا ينتمون للفرع الفارسي لا عنصريا ولا لغويا. وهذه كانت من جملة المناقشات التي أوردها ف .ف. مينورسكي وأفاد منها كثيرا في مناقشته الأستاذ فؤاد حمه خورشيد[٤٨]، لقد استعرض هذه

---

٤٨. اللغة الكردية، التوزيع الجغرافي للهجاتها، بغداد ١٩٨٣، ويعتقد بأن آري هي تسمية الأغريق الخاطئة لإيران ويعتمد في ذلك على جيمس هنري بريند، بينما الصحيح ان لفظة آري سنسكريتية تعني السيد أو الشريف أو الطبقة الأرستقراطية، اللغة الكردية ص١٣ .

الآراء العلاّمة محمد امين زكي مع آراء السيرسدني سميث، في الفصل الثاني من مؤلفه خلاصة تاريخ الكرد وكردستان[٤٩] وخلص برأي مفاده: (فإذا كان الأمر هكذا فقد حق علينا أن نقول، كما يقول بعض علماء الآثار والتاريخ، ان هناك علاقات وثيقة بين أصول الأمة الكردية ومنشئها الأول، وبين الطبقة الأولى- أعني مجموعة شعوب زاكروس القديمة الأولى)[٤٩] ثم ينصح الباحثين بقوله:(فعلى الباحث في أصل الكرد ومنشئهم أن يدرس إذن شعوب الطبقة الأولى والثانية جميعا من تلك الأصول والشعوب القديمة)[٥٠] .

ويلخص الأستاذ جلال الطالباني، وقد استعرض آراء مينورسكي، وسدني سميث، ومار، وأمين زكي، الى ان الشعب الكردي الحالي: (كان قد وجدت أصوله في وطنه كردستان منذ آلاف بل عشرات الآلاف من السنين)[٥١] .

ويستند على ما أثبتته التنقيبات الآثارية في شاندر ودوكان وچةمي ريزان-زرزي وغيرها بالمنطقة بأنها كانت مأهولة منذ عشرات الألوف من السنين، أي أنه وجدت في كردستان جماعات بشرية قبل المهاجرات التي ذكرها العلاّمة أمين زكي بآلاف السنين، ويرى بأن العناصر المهاجرة أختلطت وأندمجت مع السكان الأصليين بتأثير عوامل عديدة[٥٢]. لما كان المجال لا يتسع لإيراد كافة الآراء والمناقشات بشأن الموطن (المهد) الأصلي للأكراد فمن الأنسب الأكتفاء بإيراد أهم النصوص القديمة التي

٤٩. ص٣٧-٦٠ .

٥٠. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٦٠ .

٥١. كردستان ، ص٣-٧ .

٥٢. ن.م. ص٦-٧ .

توثق قدمية استيطان الأكراد بالمنطقة الجبلية بشمال العراق، حسب تسلسلها الزمني: أورد د.فوزي رشيد نصا مسماريا يخص أحد ملوك سلالة أور الثالثة الذي هو (شوسي)(٢٠٣٦-٢٠٢٨ ق.م) جاء فيه ذكر منطقتي سو وكوردا. وثبت صورة النص مع تنقحره Transliterate الى اللغة العربية في كتابه[٥٣] .

.وقد كتب د.فوزي تعليقا: (حكم هذا الملك مدة تسع سنوات والأحداث التي أرضت بها سنوات حكمه تشير الى استقرار الأوضاع داخل سلالة أور الثالثة وأستتباب السلم في معظم أرجائها ومع ذلك لم يخل حكم الملك شوسين من نشاط عسكري ولاسيما الحملة العسكرية التي وجهها نحو منطقة جبال زاگروس، وقد استطاع بواسطتها دحر تحالف للدويلات الإيرانية وفضلا عن ذلك فقد تمكن من فرض سيادة أور الثالثة على المنطقة الشمالية الشرقية حيث ورد في كتاباته المسمارية خبر تعيينه(ايرننا) حاكما على منطقة(سو) وأراضي مدينة (كوردا))[٥٤] ويعلق على هذا النص الذي أورد صورته المستنسخة ونقحره من السومرية الى العربية، بقوله: (وموقع مدينة كردا قريب جدا من مدينة كرمنشاه والمنطقة التي تقع فيها هذه المدينة تمثل الأصل الذي جاء منه الأكراد حيث لو أضفنا (استان) الى كلمة «كردا» سوف تنشأ لدينا التسمية(كرداستان أي كردستان))[٥٥]، لقد اشترك د.فوزي مع د.جمال

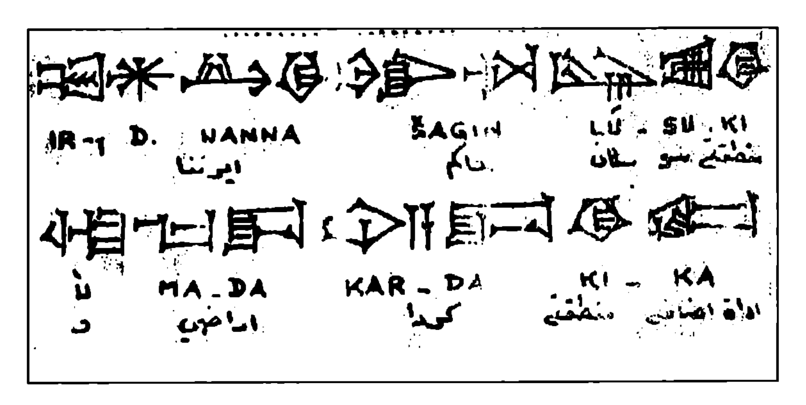
---

٥٣. ابي سين، آخر ملوك سلالة أور الثالثة، بغداد، ١٩٩٠، ص٨-٢٧ .

٥٤. ن. م، ص٨-٢٧ .

٥٥. ن.م.، ص٢٨ وقوله عن موقع كردا قرب كرمنشاه يختلف عما ورد في كتاب تاريخ الكرد القديم، الذي ساهم في تأليفه مع د. جمال رشيد حيث ورد فيه بأن الموقع جنوب وجنوب غربي بحيرة وان (ص٤٠) وحددا موقعها في الخارطة المرسومة في الصفحة (٤٨) إذ موقعها بين بحيرة وان والعراق، وهو الأصوب.

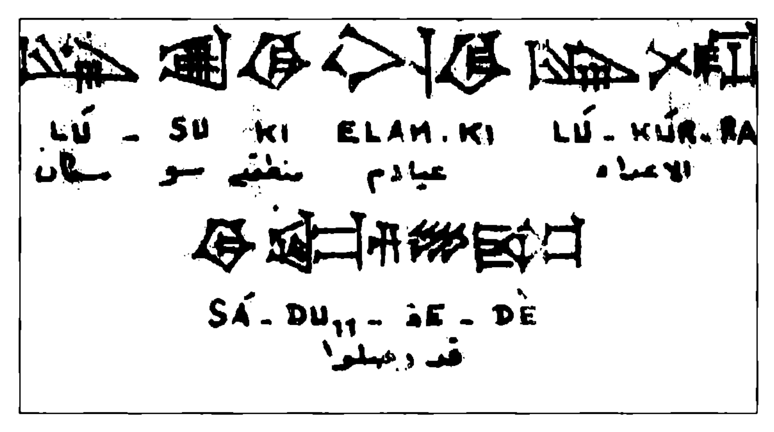
رشيد أحمد، كما مر بنا، في تأليف كتاب «تاريخ الكرد القديم» وقد أوردا فيه النص السومري، الآنف، أيضا مع شيء من الإختلاف في التعليق والسعة في تفسير كلمة (كردا) حيث ذكرا:(من الحقائق الخاصة في تاريخ منطقة كردستان القديم هو ان أقدم الأقوام التي ذكرتها النصوص المسمارية على أنهم مستوطني المنطقة المذكورة يرجعون في الأصل الى المنطقة الواقعة غرب وجنوب غرب بحيرة (وان) وهذه الحقيقة تكون قد حددت بشكل لا لبس فيه الموطن الأصلي للأقوام التي سكنت منطقة كردستان ومنهم الكرد. وهذا الموطن كما تشير المعلومات كان يحتوي على منطقتين رئيسيتين، الأولى هي منطقة (سو) والثانية هي منطقة (كردا)، وقد تأكدت لنا صحة هذه المعلومات من خلال الكتابات المسمارية التي خلفها لنا، الملك(شوسين) ٢٠٣٦-٢٠٢٨ ق.م رابع ملوك سلالة اور الثالثة ٢١١١-٢٠٠٣ ق.م). حيث ورد ضمنها النص المسماري التالي:



الترجمة: (ايرننا حاكم سكان منطقة سو وأراضي منطقة كردا)

الصحيح هو KAR.DA هي القراءة التي تقدم بها الباحث المسماري (ايدزرد Edzard) حيث نقرأ نفس الأسم في نص آخر على هيئة GAR.TA علما ان العلامة المسمارية الخاصة بالمقطع GAR تقرأ كذلك KAR والعلامة الخاصة بالمقطع TA تقرأ DA فالإسم GAR.TA اذن يمكننا أن نقرأه KAR.DA من دون ان نكون قد حرّفنا في حقيقة هذا الأسم. وعلاوة على ذلك فأن موقع منطقة GAR.TA هو نفس موقع منطقة KAR.DA[٥٦]

كما اورد تاريخ الكرد القديم نصا سومريا آخر جاء فيه:(السوئيون والعيلاميون، الأعداء (الى مدينة أور) قد وصلوا)[٥٧] كما هو المستنسخ أدناه:



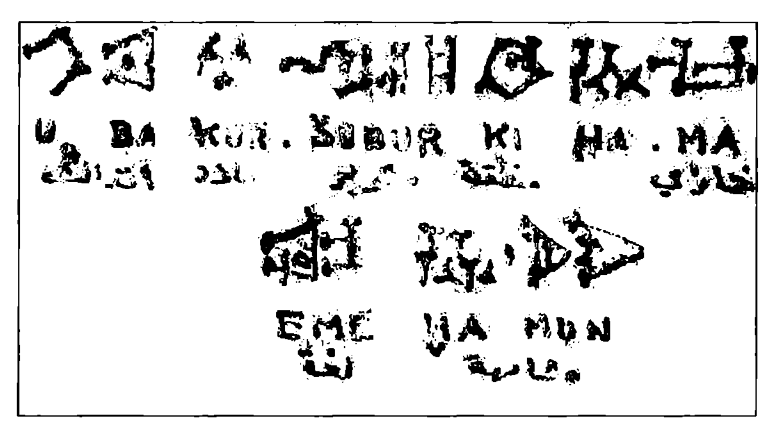
الترجمة:(السوئيون العيلاميون، الأعداء، الى مدينة اور قد وصلوا)

---

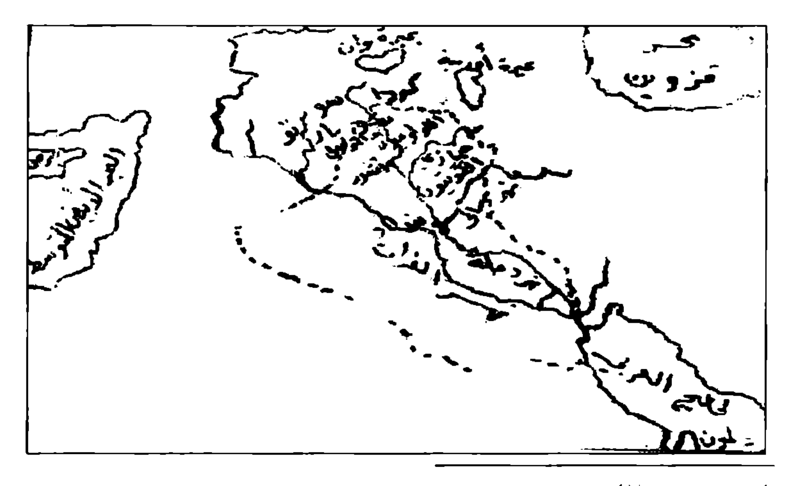
٥٦. تاريخ الكرد القديم، ص٣٩-٤٠-٤١

٥٧. ن .م. ص٤٢

أورد كذلك نصا سومريا ثالثا يخص السوباريين واللولوبين جاء فيه: (في ذلك الوقت «تكلم سكان» بلاد شـــوبر ومنطقــة خـــمـــازي لغــة متشابهة)[٥٨]، كما هو واضح في المستنسخ التالي:



الترجمة: في ذلك الوقت (تكلم سكان) بلاد
شوبر ومنطقة خمازي لغة متشابهة



٥٨. ن م. ص٤٧

المبحث الخامس

اختراق الأغريق كاردوفيا (كردستان) ٤٠١ ق.م

تولى زينفون Xenephon الأغريقي مسؤولية قيادة مرتزقة أغريقيين خائبين في حملة انسحابهم (تقهقرهم) من العراق الى بلادهم اليونان، وكان ذلك الجيش قد اختار زينفون ليقود حملة تراجعهم بعد فشل الأمير الفارسي (كورش الصغير) [Corus the yonger] في تمرده ضد أخيه الملك الفارسي ارتحشتا الثاني (٣٥٩-٤٠٤ ق.م) [٥٩]، ومقتله في معركة بابل[٦٠] لإعتماده في التمرد بصورة رئيسية على المرتزقة ومنهم كان العشرة آلاف مرتزق اغريقي الذين تولى زينفون مسؤولية قيادتهم في تقهقرهم فعُرِفت، لذلك، عملية الإنسحاب بـ«حملة العشرة آلاف» وكان خط سير حملة العودة يخترق منطقة كردستان شرقي نهر دجلة كما هو موضح في خارطة كتاب «تاريخ الأغريق حتى وفاة الأسكندر الكبير»[٦١] والمستنسخة في بحثنا (أُطلق على المنطقة في الأناباسيس والخارطة، سواء بسواء، تسمية كاردوخيا وعلى السكان كاردوخيين، لتعني

٥٩. لمزيد من المعلومات، أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص١-٥٨٠ .

٦٠. يرجح الاستاذ يعقوب افرام منصور مترجم كتاب اناباسيس ان ميدان المعركة في مكان قرب الفلوجة الحديثة والأنبار قديما، المقدمة ص١٥ .

٦١. تأليف المختص بتاريخ الأغريق J.B. Bury وقد طبع لأول مرة عام ١٩٠٠ والثانية ١٩١٧ .

J.B. Bury,History of greece, to the death of Alexender the great .

كردستان والأكراد) يخترقها بمنتهى الصعوبة والخطورة، ونعتقد ان الذي حمله على اختيار هذا الطريق هو ظنه أو تصوره بسهولة التفاوض والاتفاق مع الأكراد طالما هم أحرار مستقلون. بمنطقتهم ومعادون للعاهل الفارسي وهم أي الأغريق قد عادوا لتوهم من محاربته ولكن الأكراد البواسل الحريصين على حريتهم وأموالهم وأعراضم وأراضيهم ضد كل تعرض اجنبي خيبوا ظنه وقاوموا اجتيازه لمنطقتهم فعمد الى استخدام القوة الغاشمة في اقتحامه وهو يعلم مدى خطورة ما اقدم عليه فقد سبق لجيش العاهل والبالغ ١٢٠ الفا قد دخل اراضي كردستان ولم يعد منهم أحد[٦٢] .

كما ذكر في مؤلفه، لقد دون ملاحظاته عن حملة التراجع وبضمنها عن فترة اجتيازهم كردستان – من بعد عبورهم الزاب الأسفل حتى مغادرتهم المنطقة بعد عبورهم منابع دجلة العليا في آسيا الصغرى ودخولهم أرمينيا – والبالغة سبعة أيام بلياليها مسجلة في مؤلفه «اناباسيس Anabasis» وهي مفعمة بصور الأهوال والمعاناة التي كابدها هو ومن معه الذين كانوا تحت أمرته جراء جرأته بإختراق موطن البواسل الأشداء حيث لم يذقوا طعما للراحة والنوم طيلة فترة الأختراق، حين جابهوا – كما وصف – مقاومة دائبة خطرة لبواسل متمرسين بحروب الاستنزاف الجبلية، لم تنقطع ليل نهار، ذاكرا في الوقت نفسه براعتهم في حسن استخدامهم لخصائص طوبوغرافية (Topographical) منطقتهم: وعورة الجبال وضيق الممرات وشدة انحدار السفوح، الظاهرة في خفة حركتهم بالكر والفر وفي تنسيق اسلحتهم، من مقاليع وسهام

٦٢. زينفون، حملة العشرة آلاف، ترجمه عن الانكليزية، الاستاذ يعقول افرام منصور، الموصل ١٩٨٨، ص١٦٦ .

ودروع، مع ظروفهم لتحقق لهم خفة الحركة في مسالك وعرة، كما تحدث عن الاخطار المتسببة من دحرجة كتل صخرية متنوعة الحجم نحوهم من أعالي القمم، حيث كانت تنهال عليهم دوما متدحرجة نحوهم الى الأسفل مختلف الكتل من فوق التلل سواء بالنهار أو بالليل، مما ادخل الفزع والرعب في قلوب الاغريق فصاروا يخشونها ويتحاشون الاقتراب من المضايق والسفوح المنحدرة والمسالك المنعطفة.

لقد ذكر زينفون إعاقة الأكراد لمسيرتهم بهجماتهم المستمرة وتفوقهم بالجري والمشي السريع ومهارتهم في استخدام أسلحتهم التي قال عنها: (كانت أسلحتهم لا تعدو الأقواس والمقاليع وكانوا نبالة في غاية الكفاءة. أما أقواسهم فكانت بين أربعة أو خمسة أقدام طولا وسهامهم أطول من ثلاثة أقدام. وكانوا أثناء الرمي يخرجون القدم اليسرى ويدعون نهاية القوس السفلى تستقر عليها وهم يسحبون القوس. كانت سهامهم تخترق التروس والأروع عندما حصل اليونانيون على طائفة منها ركبوها في حلقات واسعة كرماح)[٦٣] .

تناولت مدونة زينفون عن الحملة وصفا شاملا لمنطقة كردستان ولقاطنيها من الأكراد في فصول من القسم الثالث، الذي هو تحت عنوان (السير نحو شمال العراق) «ص١٢٩-١٦٨» في الفصل الثالث منه بعنوان: الأغريق يقاسون المقاليع والسهام (ص١٥٠-١٥٣) والفصل الخامس، بعنوان: بين دجلة والجبال«ص١٦٤-١٦٧» وفي القسم الرابع تحت عنوان: المسير نحو البحر (المقصود: البحر الأسود)«ص١٧١-٢١٦» إلاّ أن ما يخص كردستان يقع في الفصل الأول منه بعنوان الإيفال في شمال العراق «ص١٧١-١٧٥» والفصل الثاني، الإقتتال في

٦٣. ن .م ، ص١-١٨٠ .

الجبال(ص١٧٦ -١٨١) والفصل الثالث منه بعنوان: العبور الى ارمينيا(ص١٨٢-١٨٨).

لقد كشفت ملاحظات زينفون المدوّنة في مؤلفه أخبار ممارسة جيش المرتزقة الأغريقي الذي كان يقوده لعمليات السلب والنهب والاغتصاب وحرق القرى واغتيال الأسرى المخيرين بين خيانة الأدلاء بالطرق المسلوكة وبين الموت.

فيذكر زينفون أنه حينما أُحظر لطلب الهدنة لإستعادة جثث قتلاهم وافق الأكراد شريطة أن يكف الجيش ولا يعمد لحرق قراهم. مما يدلل على استمرارية ممارسة هذا الفعل الشنيع البربري بحق السكان الآمنين وهو يعلم بأنه يغتصب موطنهم وهم لا يسمحون لأحد بإجتيازه بأمان حيث كتب:(لم يعبأ السكان حينما نودي عليهم (للتفاوض) والحقيقة أنهم لم يظهروا أية دلالة على شعور ودي)[٦٤] لذلك عمد زينفون الى استخدام القوة ضد الأكراد بمنتهى القساوة والوحشية. وقد وصف المختص بتاريخ اليونان J.B. Bury جي.ب. بري أعمال زينفون بالشجاعة والبطولة ضد برابرة متوحشين عند اقتحامه ارضهم القفراء الموحشة كل ذلك بدافع التحيز دون ان يلتفت الى ان الأكراد البواسل أبوا الإنصياع لمغتصب أجنبي يدنس بوطىء أقدامه أرضهم المحبوبة.

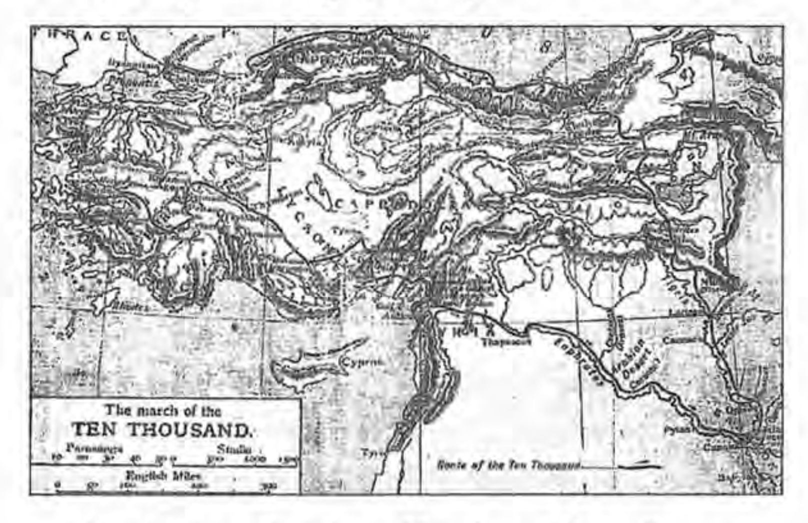
تعتبر ملاحظات زينفون نصوصاً تاريخية هامة اتتنا من الماضي البعيد ولا تقل عنها أهمية الخريطة الموضحة لمسيرة الحملة والوصف الذي ذكره المؤرخ جي. ب. بري عن الحملة حيث كتب النص تحت عنوان (كردستان) ورُسمت الخريطة في مطلع هذا القرن في عام

---

٦٤. حملة العشرة آلاف، ص١٧١ .

١٩٠٠ م. والمستنسخة ادناه:

وترجمة نص ما كتبه جي. ب. بري في مؤلفه تاريخ الأغريق تحت



مسيرة العشرة آلاف عن تاريخ الأغريق ما بين الصفحتين ٥١٨-٥١٩

عنوان الفقرة «كردستان» كما يأتي:(كانت شجاعة في الحقيقة، ان يتولى مسيرة مجهولة المدى – طويلة الى ابعد حد- بدون ادلاء ومع ضباط قليلي الخبرة عبر انهار غير معلومة وجبال فضة(Umcouth) خلال أراضي شعوب بربرية. كان الخيار ان يعثر على بلدة يونانية بوسط ميديا، لكن هذا لم يكن له جذبٌ فأن قلوب الجميع قد استقرت على العودة الى عالم الأغريق. ولسوف يغدو طويلا إذا ما تحدثنا عن كامل المغامرات اليومية لإنسحابهم. انها عرض لأحداث الشجاعة والانضباط والعقلانية وفق تسلسلها الزمني(chronicale) أزاء الأخطاء لا غير، بيد ان ممارسة تلك الخصائص بمقياس غير اعتيادي تمكنها من الارتقاء. كانت مسيرتهم الى الجبال

الكردوخـيـة، التي تشكل الحـدود الشـمـاليـة لميـديا، تقـاسـي مـن جـيش تسافيرنس (Tissaphernes) قائد جيش فارسي– ح.ق. العزيز.

الذي مهما يكن لم يغامر مطلقا بمعركة ضارية عندما دخلوا كاردوخيا، فـأن الأغـريق قد تجاوزوا الامبـراطورية الفـارسـيـة الى رجـال هذه الجـبـال الذين كانوا احرارا وقد شقوا أسفينا بين مرزبانات ميديا وارمينيا. كان المرور عـبـر هذه البـلاد الموحـشـة من اكـثـر أقسـام التـراجع كلهـا خطورة وهلاكـاً. كان رجـال التـلال المتوحـشـون أعـداءً حـاقـدين ومـيـسـوراً لهم ان يدافعوا عن الشـعب المنحدرة الضـيقة ضـد جـيش مـحمـل بأمـتـعـة وخـائف دائمـا من دروب منعطفـة، من التـحطم بالكتل الصـخـرية التي يدحـرجـهـا الأعداء من أعلى السمو نحو الأسفل. بلغوا، بعد كثير من المعاناة وفقدان الحيـاة، سنتـريتس[٦٥]، رافـد دجلة الذي يفصـل كاردوخيـا عن أرمينيا، لقد سادت من قبل اخبار مجيئهم، ووجدوا الشاطيء المقابل مرتب بصفوف من قوى تيربازوس مرزبان ارمينيا. كان رجـال التـلال الكاردوخيـون مـتـحلقين حول مؤخرتهم فكانت الضرورة تقتضي حيلة بارعة لعبور النهر بأمان. كان الشهر الآن كانون الأول والمسيرة تتجه خلال ثلوج ارمينيا الشتوية[٦٦] .

يلاحظ في أقـوال جي.ب بـري وهـو من خـيـرة المخـتـصـين المشـهـورين بتاريخ اليونان ما يأتي:

١– سمى منطقة كردوخيا بإسم كردستان وبذلك أعتبر كردوخيا مرادفا لكردستان.

---

٦٥. ذكر الأستاذ يعقوب افرام منصور في ترجمة لمؤلف زينفون بأن كانتريتش هي التسمية الأغريقية لنهر دجلة كما افاد بذلك المطران ادي شير في الجزء الأول من كتابه (تاريخ كلد وآشور)– حملة العشرة آلاف ص١٨٢ .

٦٦. تاريخ الأغريق، ص٥٢٨ .

٢- أعتبر كردوخيا بلدا مستقلا عن الامبراطورية الفارسية (الاخمينية) وعن ارمينيا.

٣- ميز وحدد في الخريطة التي أودعها مؤلفه (بين الصفحتين ٥١٨ و٥١٩) كردوخيا عن ميديا وعن أرمينيا وجعلها بين نهر الزاب الصغير جنوبا ومنابع دجلة العليا شمالاً وجبال زاگروس شرقا ونهر دجلة غربا.

٤- لم يتحل بالتجرد الموضوعي فيتحرر من سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي بل انحاز الى جانب الأغريق، المعجب بهم، وتحامل على الأكراد فوصفهم بالبربرية والوحشية ويبدو ان ذلك يعود الى:

أ- ساير الأفكار المتأثرة في القرن التاسع عشر الميلادي بالمذابح التي جرت في عهد الامبراطورية العثمانية بين المسلمين والمسيحيين في الاناضول والبلقان، فتغاضى عن الأعمال الوحشية التي اقترفها الأغريق المغتصبين وعدها بطولة وأتهم الأكراد المدافعين عن قيمهم بالبربرية والوحشية، فأمتد تأثير أفكار القرن التاسع عشر الميلادي فيه الى الماضي البعيد وهو مدرك بأن الأكراد لم يكونوا في ذلك الحين مسلمين ولم يكن الأغريق نصارى بعد فالأحداث قبل ميلاد المسيح بأربعة قرون ولكن التعنصر يغشي الأبصار بضلال كثيفة.

ب- تأثره بمجمل بنية الأغريق الذهنية الحضارية وأعجابه بإنجازاتهم وإسهاماتهم في تطوير المسار الحضاري حمله على تغاضي أعمال العشرة آلاف مرتزقة الجنائية وعلى الضد أعتبر الأكراد المتأخرين عن الركب الحضاري وحوشا برابرة مثل تصور افلام الرعاة الأمريكية، سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر) ومثل نظرة الصهاينة المغتصبين للشعب الفلسطيني. فتعتبر كل مقاومة يبديها السكان الأصليون أعمالا

وحشية بربرية يحق للمتحضرين الاجهاز عليها واخمادها.

تكتسب ملاحظات زينفون و جي. ب. بري برغم تحاملهما ومغالطتهما، اهمية بالغة من حيث تأكيدها على وجود الأكراد في كردستان في المنطقة المحددة في العراق (في الأقوال وفي الخريطة الموضحة لخط سير حملة التقهقر).

ورد في مناقشة العلاّمة محمد امين زكي لآراء العديد من العلماء بصدد أصل الكرد وتسميتهم [خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ٢٨-٤٦ وما بعدها] قوله: (ومهما يكن من أمر فالذي لا شك فيه ان كاردوخي، كان موجودا وكان يدل على مسماه الحقيقي ولو كان ذلك بشكل آخر (والظاهر ان اللفظ الأخير أعني «خوي» استعمل بدل Qhالذي هو علامة الجمع في اللغة الأرمنية فنتج من هذا ان علماء اليونان والرومان اطلعوا على هذه الأعلام والأسماء في الكتب الأرمنية فأخذوها كما هي مصوغة بالصيغة الأرمنية)[٦٧] .

لقد اعتمد د.شاكر خصباك اعتمادا واسعا على مناقشات العلاّمة محمد امين زكي لآراء العلماء وعلى استنتاجه حول الكرد والكردوخ دون الاشارة إليه، في بحثه عن أصل الأكراد وأجدادهم ومواطنهم وعن منطقة كردستان، الملحق بمؤلفه الضخم (الأكراد، دراسة جغرافية انثوغرافية)[٦٨] .

وكرر ذلك في مؤلفه الضخم الثاني (العراق الشمالي)[٦٩] ولكن بصورة

---

٦٧. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٤١ . وزينفون كأغريقي سمى الأكراد بالكردوخيين.

٦٨. بغداد، ١٩٧٢، ص٥٠٣-٥٢٠ .

٦٩. بغداد ١٩٧٣ .

مكثفة جدا تحت عنوان «التركيب الأثنوغرافي»[٧٠] .

ان الاعتماد على من سبق نهج علمي سليم، ولكن لأمر ما تغافل د.شاكر عن ذكر العلاّمة محمد امين في الوقت الذي تتجلى فيه واضحةً آثار كتاب العلاّمة محمد امين (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) في الهياكل الارتكازية والمضامين البنيوية معا لمعالجة د. شاكر لموضوع أصل الأكراد ونسبهم ومواطنهم، وتسمية كردستان، وان اردفها ببعض الدراسات التي ظهرت بعد رحيل العلاّمة محمد امين عن عالم الاحياء (١٩٤٨م) مثل مؤلف الدكتور سافراستيان، كردستان والأكراد، فإن الاغفال يشكل هفوة كان بالإمكان تداركها لكي لا تخل في سياق جهوده المحمودة في أبحاثه الضخمة والجيدة عن كردستان. لقد اشار د. شاكر الى ورود تسميات سومرية وأكدية وبابلية وآشورية للكرد بصيغ مختلفة من النصوص المسمارية ولكنها غير موثقة ويعتقد ان أقدم تسمية للكرد هي التي أطلقها زينفون لأن الكرد وفي اثناء قيادته حملة العشرة آلاف. لكن النصوص السومرية التي أوردناها آنفا وأظهرت ان تسمية «كوردا وسو» في الألف الثالث قبل الميلاد، كما تقدم.

نستخلص من الدراسة المستفيضة عن الموطن الأصلي بأن السكان الجبليين الشماليين القاطنين في المنطقة ما بين جبال زاگروس شرقا ونهر دجلة غربا وجنوب بحيرة وان شمالا ونهر الزاب الصغير جنوبا، ومعظمها في منطقة الشمال والشمال الشرقي من العراق، الذين كشفت آثارهم في كهوف شاندر وزرزي وهزار ميرد ومواقع غيرها، هم الأسلاف الاصليون للأكراد وللسومريين، كما سنوضحه، وقد نزح السومريون عن مناطقهم في شمال العراق الى جنوبه وبقي الأكراد

---

٧٠. ن .م. ص١٦١ -١٦٦ .

بمناطقهم الجبلية الشمالية ثم تعرضوا لموجة غزو كاسحة وتم الاختلاط والتأثر بالموجة الهندية الأوربية الآتية من الشرق وبذلك اختلفت لغة الأحفاد فالسومريون حافظوا على لغة الأسلاف، ولذلك يعترف العلماء بأن لغتهم ليست هندية أو أوربية وإنما خاصة بهم، اي لغة أسلافهم الجبليين الشماليين أما الأكراد فقد تقبلت لغة أخرى إحدى فروع الشعوب الهندية الأوروبية -الآرية ومن ثم تأثرت بمرور الزمن باللغات الفارسية والتركية والعربية لأسباب عديدة.

يستوقفنا في هذا المجال، رأي الأستاذ طه باقر، عدّ فيه الأكراد والقبائل الكردية التي وجدت بشمال العراق من الأقوام التي كانت خارج القطر ثم دخلت فيه وأستوطنت بشماله بقوله:(وتغلغل البعض منهم الى موطن هذه الحضارة نفسها فدخلوا في تركيب سكان العراق القديم، وأستوطنت جماعات اخرى في مناطق العراق الشمالية وفي الاقسام الجبلية منها مثل الگوتيين واللولوبيين، وجماعات من الماذيين أو الميديين في أواخر الألف الثاني، والمرجح أن يكون الأكراد منهم الآن)[٧١] بينما ذكرت النصوص المسمارية قدم استيطان المنطقة الشمالية من قبل السكان المحليين لذلك قال العلاّمة مار بأن الأكراد شعب أصيل سكن جبال آسيا الصغرى[٧٢] لذلك ورد في كتاب تاريخ الكرد القديم - كما مر بنا- من الحقائق الخاصة في تاريخ منطقة كردستان القديم هو ان أقدم الأقوام التي ذكرتها النصوص المسمارية على أنهم مستوطني المنطقة المذكورة يرجعون في الأصل الى المنطقة

---

٧١. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . ص٧٦ .

٧٢. نقلا عن باسيل نيكيتين، الأكراد، ص٢٠ وأنظر عنه أيضا ف.ف. مينورسكي، الأكراد، ص٢١ الهامش رقم٢ .

الواقعة غرب وجنوب غرب بحيرة (وان)[٧٣] .

وإذا رجعنا الى كتاب «العراق الشمالي» للدكتور شاكر خصباك نجده يقول: (تعتبر أراضي العراق الشمالي من أقدم الجهات التي استوطنها الأنسان)[٧٤] .

كذلك كتب: (فقد كشفت الأبحاث الآركيولوجية عن آثار الإنسان بأدواره الحجرية المتعددة في مختلف جهات المنطقة)[٧٥] .

ويستنتج:(وهذه الاكتشافات بمجموعها تدلل على قدم استيطان الإنسان لهذه المنطقة وعلى المراحل الحضارية التي مرت بها). ثم يبين العلل في قدم الاستيطان فيقول: (ولا ريب ان الظروف الطبيعية للمنطقة بأمطارها الغزيرة وحيواناتها الوفيرة قد شجعت الانسان منذ أقدم الأزمان على استيطانها، كما ان كهوفها كانت ملجأً صالحاً للإنسان القديم في العصور الجليدية، وربما كانت هذه المنطقة من أوائل مناطق الأرض التي تعلم فيها الإنسان زراعة الحبوب)[٧٦] .

لا شك ان الظروف البيئية التي اشار إليها د.شاكر كانت عنصر جذب المنطقة ولكن الأحوال لم تستمر كما هي وانما طرأت تغييرات أدت الى أن تصبح المنطقة أقل قدرة على الاستيعاب مما اضطر القاطنين بعضهم، وهم رعاة في غالبيتهم على الانتشار في الاطراف المجاورة في غرب إيران (ميديا ولوردستان) وفي جنوب شرقي تركيا، والى السهل الرسوبي بجنوب وادي الرافدين -السومريون- كما سنرى فيما بعد.

---

٧٣. تأليف د.جمال رشيد احمد و د.فوزي رشيد، ص٤١ .

٧٤. ص١٦١ .

٧٥. ن .م، ص١٦١ .

٧٦. ن.م، ص١٦٢ .

المبحث السادس

الإنتماء العرقي

أختلف العلماء كثيرا حول أصل الكرد العرقي، فيعدهم البعض من الجنس الآري، الهندي – الأوروبي من الفرع الإيراني بينما يرجعهم أخرون الى الأجناس القديمة الأصلية غير المهاجرة الجبلية في مناطق جنوب القوقاس وشرق تركيا وشمال العراق. لقد استعرض معظم هذه الفرضيات ف.ف. مينورسكي وباسيل نيكيتين والعلاّمة محمد امين زكي وجلال الطالباني ود.شاكر خصباك، وقد اسهب على ضوء ذلك في النقاش الباحث السوري المقدم منذر الموصلي، في الفصل الثاني تحت عنوان (الأكراد، من هم الأكراد؟ أصلهم وانحدارهم التاريخي ويتناول الميدية الآرية وان الأكراد ليسوا طورانيين ولا إيرانيين، وهل الأكراد من أصول كلدانية وأخيرا الأساطير العربية والفارسية عن أصل الأكراد مثلما روتها المصادر العربية والفارسية وشرفنامة البدليسي)[٧٧] .

كان مينورسكي قد ذكر الصعوبات في تحديد أصل الكرد بقوله:(ان أصل الأكراد، أو بعبارة أدق أول ظهورهم في كردستان، مسألة لا تزال تدور حولها المناقشات وتتمخض عن آراء متناقضة. ان الكتاب الكلاسيكيين[٧٨] يذكرون أسماء تشبه بصورة دقيقة لفظة «كرد» عندما

---

٧٧. عرب وأكراد، ص ١٠٧–١١٥ .

٧٨. الأكراد، ص٢١ وانظر الهامش رقم(١) الذي يخص هذه الملاحظة .

يبحثون عن أراضي كردستان الحالية)[79]. وذكر ب. نيكيتين (وخلاصة القول أن أصل الأكراد غامض معقد لم يتم الاتفاق عليه بعد بين علماء التاريخ، ولا يزال الميدان واسعا للدراسات والابحاث والنظريات في هذا الشأن)[80] .

ويرد العلاّمة محمد أمين بأن ميديا هي موطن فرع من الأكراد وان الأصل هم من سكنة كردستان بشمال العراق وان الكردوخيين هم الأكراد ثم يتطرق الى علاقتهم ببقية القبائل الكردية في مناقشته المستفيضة في الفصل الثاني التي تناول منشأ الأكراد وأصلهم ومن اي سلالة أنحدر الشعب الكردي ومن اين جاءوا.

ذكر د.شاكر خصباك في عقدة آراء العلماء المتباينة بصدد الأصول السلالية للأكراد بأن هناك رأياً متغلباً بينها يرجع الأصول الى الميديين، برغم اختلاف العلماء حول وجود شعب ذي مقومات عنصرية بأسم الميديين، بينما يتفوقون على وجود الشعب الگوتي، وذلك لأن لفظة ميدا Meda الواردة في الاختام المسمارية - كما ذكر سافراستيان - تعني بالأصل الأرض أو البلد، (لقد مر في نص سومري مستتنسخ فيه ما- دا MA-DA وهي تعني بلدا أو أرضا). فيقال ميداگوتيوم وميداعيلام.. وغيرها، أي بلاد الگوتيين وبلاد العيلاميين، بيد ان وارثي الثقافة السومرية، من بابليين وآشوريين وسواهم، كانوا قد اخطأوافي استعمال مصطلح ميدا(ما-دا) إذ ظنوه أسما لبلد معين أو لقومية من القوميات ومن هنا حصل الإيهام.

بينما كان السومريون ومن تلاهم يشيرون بشكل واضح وصريح الى

---

٧٩. ن.م، ص٢١ .

٨٠. الأكراد، ص٢٣ .

الشعب الگوتي وتكوينه السياسي[٨٢] . فأسهم د.خصباك في سياق تباين الآراء، بعرض وجهات نظر جاء فيها:(يعتبر الأكراد من أقدم سكان المنطقة، وقد جاء ذكرهم في كتاب (رجعة العشرة آلاف) للقائد اليوناني زينفون بأسم (الكاردوخيين) وذلك منذ عام ٤٣١ ق.م .

ويبدو أن الأصول التاريخية للشعب الكردي تعود الى الگوتيين، وان كان الرأي المتداول أنها تعود للميديين. ويتفق المؤرخون على وجود شعب بإسم الگوتيين كان يعيش قبل الميلاد بألفي عام في منطقة تشكل الآن احدى مناطق الأكراد الرئيسية وهي المنطقة المحصورة بين نهر دجلة والزاب الأسفل ونهر ديالي، وقد وردت أقدم إشارة الى هذا الشعب في الكتابات السومرية.. وكان الگوتيون يهددون المملكة البابلية بإستمرار وكان البابليون يسمونهم (گاردو Gardu) أو (كاردو Kardu) وقد حدد بعض المؤرخين موقع المملكة الگوتية في المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة ومرتفعات السليمانية ونهر ديالى. أما الشعب الميدي فلم ترد عنه أية أخبار واضحة يمكن أن تجعل منه شعبا متميزا.. ومهما يكن الأمر فأن الأكراد الحاليين كانوا يعيشون في العصور الغابرة في المنطقة التي دعيت ببلاد ميديا، وأنهم لذلك في عرف العديد من المؤرخين من أحفاد الميديين)[٨٣] .

أما بخصوص السلالة الكردية فيكاد يتفق معظم علماء الأجناس بأنها تنتمي الى (المجموعة الآرية)[٨٤] . (بعد ان صهرت الموجة الغازية سكان المنطقة الأصليين، حسب آراء كون Coon وهادون Hadoon وفيلد Field ،

٨٢. تلخيص لآراء وأقوال د.خصباك من كتابه «العراق الشمالي»، ص١٦٤-١٦٥ .

٨٣. العراق الشمالي، ص٥-١٦٤ .

٨٤. ن.م، ص١٦٥ .

حيث وجدوا أن الأكراد يمثلون طلائع النورديين وينتمون الى سلالة واحدة وهي السلالة الألبية من المجموعة الآرية. وان الشماليين منهم يكشفون عن تأثيرات أرمنية قوية في حين أن الجنوبيين يكشفون عن تأثيرات سلالات البحر المتوسط)[٨٥] .

٨٥. ملخص بتكثيف لما ورد في كتاب العراق الشمالي، ص١٦٥ .

المبحث السابع

الإنتماء اللغوي

لا يخلو البحث عن أصل اللغة الكردية وأنتمائها الى العوائل اللغوية من صعوبات وتعقيدات. وترتبط اشكالات البحث عن أصل الانتماء اللغوي بتضارب آراء العلماء والباحثين حول موطن الأكراد الأصلي (مهدهم) وحول أصلهم العرقي، فلا غرو ان تتقاطع وجهات نظرهم أيضا عن إنتماء لغة الأكراد، هل هي لغة خاصة تداولها أحفاد من أسلاف أم أكتسبوها تأثرا تثاقفيا أم تسلطياً؟ أن مما يزيد صعوبة الإجابة هي انعدام الكتابة الكردية القديمة، كما ذكرنا سابقا وبينّا سبب هذا النقص، فنحن لا نملك نصا أو مدونة أو نصبا أو أثرا باللغة الكردية لكي نجري عليها دراسة معمقة ونقارنها باللغات المتشابهة لها.

يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون، في مقدمته لكتاب «الأكراد» لباسيل نيكيتين:(واذا كانت اللهجات التي يستعملها الأكراد إيرانية، إلا أنها توحي بوجود عنصر فيها غريب عنها)[٨٦] .

فما هو ذلك العنصر الغريب يا ترى؟ لا شك أنه بقايا لغة الأسلاف المندثرة. وكتب نيكيتين عن لغة الخلايين، ويدعون ايضا أوراتو، وهم من الأكراد(.. إنما نعلم أن لغتهم لم تكن هندية - أوربية بل كانت تشبه اللغات الكرتفالية. اي انها تختلف تماما عن لغة الأكراد الحالية التي

---

٨٦. المقدمة، ص٥ .

أثبت العلم أنها لغة ايرانية من اصل هندي اوروبي)[87] . اي ان اللغة الخلدية لم تكن متأثرة بموجة الغزو الاكتساحي الهندي الأوروبي التي بصمت اثرها الواضح في اللغات واللهجات المحلية التي وقعت تحت تأثيرها التسلطي، مثلما تأثرت بها اللغة الكردية.

وبيّن نيكيتين بأن علماء اللغات بوت و روديجار قد دحظوا النظرية القائلة بأن اللغة الكردية هي كلدانية الأصل، وأثبتوا علاقتها باللغة الفارسية الحديثة وباللغة الزندية وهي أم اللغة الفارسية[88] .

وأشار الى آراء العالم الروسي «كونيك» بأن الأكراد هم من أصل آري كالإيرانيين وغيرهم من شعوب آسيا الصغرى، وان هذا الرأي يشاركه فيه رينان ودورن ولرش[89] .

وكان نيكيتين قد ناقش انتساب الأكراد للكلدان ونفي صلتهم بهم حيث كتب:(وكان العلماء يظنون أن الأكراد هم أنسباء الكلدان سكان بابل. وقد اثبت العلاّمة ليهمان أن الكلدان هم شعب سامي لا علاقة له بالخلديين. ويشير كتّاب العهد القديم الى ان الكلدان قد سكنوا منطقة كردستان الشرقية. وذكر ذلك ماركوبولو في معرض كلامه عن الكلدان، وقال ايضا: ان هناك شعبا كرديا مسيحيا يسكن في جبال الموصل. وهكذا ساد الرأي في العصور الوسطى أن الأكراد ينحدرون من أصل كلداني)[90] .

---

٨٧. الأكراد.

٨٨. الأكراد، ص,١٨ والزند نسبة الى كتاب زندافستا، الذي هو شرح لكتاب زرادشت الأفستا (ح.ق. العزيز).

٨٩. ن.م، ص١٨ .

٩٠. ن.م ، ص١٧ وكتّاب العهد القديم هم اليهود الذين كتبوا التوراة.

يتجلى التحزب العقائدي في الظن الخاطىء بنسبة الأكراد للكلدان بمجرد أعتناق بعضهم للعقيدة المسيحية وأنسحاب الأفتراض على كل الأكراد وبشكل رجعي الى أيام الوثنية السابقة لظهور العقائد التوحيدية بما فيها المسيحية، بل وبإصرار ومغالطة برغم ان المبشرين - كما يذكر نيكيتين - غارزوني وسالدينه (قد بيّنا العلاقة الوثيقة بين اللغة الكردية واللغة الفارسية الحديثة)[٩١] ناقش نيكيتين آراء مينورسكي ومار وقال عن مينورسكي:(فيرى أن لغتهم رغم تعدد لهجاتها هي ايرانية الأصل، أنما تأثرت باللغة الميدية، وهي لغة ميديا الصغرى التي تضم مقاطعتي آذربيجان وأدروبانين)[٩٢] .

لم يوضح نيكيتين المقصود بأدروباتين لأنها معروفة له ولمينورسكي ولكننا نجد ضرورة توضيحها: تُعرف آذربيجان (السوفيتية سابقا) قديما بأسم ألبانيا[٩٣]، بينما تعرف آذربيجان الإيرانية أو الجنوبية بأسم أتروباتينا ويقول كي ليسترانج: (أن الشكل القديم للأسم في الفارسية هو آذربذكان الأسم الذي حرّفه اليونانيون الى أتروباتينه)[٩٤] .

وبعد ان يستعرض نيكيتين وجهات نظر مينورسكي يأتي بخلاصة رأيه

---

٩١. ن.م، ص١٧ .

٩٢. ن.م، ص١٨-١٩ .

٩٣. تاريخ العالم العام(بالروسية)، موسكو ١٩٥٧، ١٣٢/٢، البابكية، أو انتفاضة الشعب الآذربيجاني ضد الخلافة العباسية، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٦ هامش ٣٨ .

٩٤. أراضي الخلافة الشرقية، لندن، ١٩٠٥، ص١٥٩(باللغة الانكليزية)، وحول التسمية أنظر مقالة ف.ف. مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول، ص١٨٨، آرثر كريستن، إيران فيعهد الساسانين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٧، ص١٠٥، احمد زكي، قاموس الجغرافية القديمة، ويذكر بأن اسمه القديم اثروباتان، ص٨ .

فيقول: (وخلاصة رأي مينورسكي أن الأكراد هم مزيج من قبائل عديدة متنقلة وليسوا من دم واحد ومن ارض واحدة)[٩٥] .

وأما بالنسبة لمار فيري نيكيتين بأن العلاّمة مار يصرّ على رأيه بأن هناك قرابة بين الأكراد وشعب الكردوخ والكرتفل.

ويُفسر كون اللغة الكردية الحالية من أصل إيراني بأن الأكراد قد استعاضوا عن لغتهم الأصلية بلغة جديدة إذ أحلوا العنصر الآري محل العنصر الجافتي[٩٦] .

وخلاصة رأي العلاّمة مار أورده نيكيتين على الوجه الآتي:(ويقول العلاّمة مار أن الأكراد شعب أصيل سكن جبال آسيا الصغرى حيث تكونت لغته وتطورت من اصلها الجافتي القريب من اللغة الجيورجية والخلدية الى أن أصبحت لغة هندية أوربية قريبة من اللغة الإيرانية والأرمنية، وفيها بعض عناصر تركية. وتتفق نظرية مار مع نظرية مينورسكي في قوله ان اللغة الكردية أثناء تطورها قد تأثرت باللغة الميدية)[٩٧] .

ويبدي نيكيتين وجهة نظره برأي الأثنين في أصل اللغة الكردية فيقول: (أمامنا إذن نظريتان عن أصل الأكراد.. الأولى: تقول بأن أصلهم إيراني وأنهم رحلوا في الجيل السابع قبل الميلاد من جنوب بحيرة أورمياه نحو بوهقان، بينما ترى النظرية الثانية أنهم شعب أصيل لا ينحدر من أصل إيراني أنما هم أنسباء للخلديين والجيورجيين والأرمن وقد أستبدلوا لغتهم الأصلية باللغة الإيرانية)[٩٨] .

---

٩٥. الأكراد، ص١٩ .

٩٦. ن. م، ص١٩-٢٠ .

٩٧. ن.م، ص٢٠ .

٩٨. ن.م، ص١-٢٠ .

ثم يخلص الى استنتاج آخر:(وتتفق النظريتان في بعض النقاط، فكلتاهما تسلمان بأن لغة الأكراد قد تأثرت شمالا باللغة الأرمنية وباللغة المادية، إنما طغت عليها لغة القبائل الإيرانية في الجنوب فأعتنقها الأكراد نهائيا وهم يتكلمونها حتى اليوم)[99] .

ولمينورسكي رأي آخر لم يتطرق إليه نيكيتين والذي قال فيه:(ومهما يكن الأمر أن هذا الشعب الذي نكتب عنه وجد في جبال كردستان قبل الميلاد بعدة قرون، اننا نعرف جيدا بأن الأكراد ليسوا آريين من حيث اللغة فحسب وأنما لغتهم تدخل في عائلة اللغات الإيرانية، وعلى هذا الأساس أن وطنهم (وكذلك لغتهم) في الشرق على ما أعتقد)[100] .

وكتب د.خصباك (أما اللغة الكردية فقد تعرضت بدورها الى تعدد وجهات النظر في اصلها إلا أن الأبحاث الحديثة أثبتت أنها تنتمي الى مجموعة اللغات الإيرانية الغربية. وقد أثبت مينورسكي أن هناك فروقا جوهرية بينها وبين اللغة الفارسية)[101] .

يستعرض مؤلفا(تاريخ الكرد القديم)د.جمال و د.فوزي في الفصل الثاني(ص٩١-٩٨) التغييرات اللغوية والحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد في جبال زاگروس وكردستان، ويخلصان الى القول:(وهكذا فأن مناطق كردستان خضعت في هذه المراحل من التاريخ الى كل هذه الظواهر الحضارية التي جلبتها القبائل الهندية والأوربية وطمّعت بها

---

٩٩. ن.م، ص٢٠ .

١٠٠. الأكراد، ص٢-٢١، وكتب في الهامش رقم ٣:(يعتقد بأن هجرات الآريين العامة الى إيران قد حدثت من الشرق الى الغرب (ف.ف. بارتولد، عرض جغرافي - تاريخ إيران. ١٩٠٢، ص٣-٥٩) باللغة الفارسية).

١٠١. العراق الشمالي ص٦-١٦٥، وأشار في الهامش الى مثال مينورسكي في دائرة المعارف .

أذهان الخوريين واللولوبيين والگوتيين والكاشيين. بالإضافة الى هذه الظواهر فأن ما جاء به الميديون من الأسس اللغوية والدينية في الألف الأول قبل الميلاد وما أضافه الفرث من قضايا أثنوغرافية في هذه المجتمعات شكلت جميعها جانبا رئيسيا من التراث الفكري واللغوي والشعبي للكرد في العصور التي سبقت ظهور الاسلام)[١٠٢] .

ولمستشار وزارة الداخلية في العراق (١٩٣٥-١٩٤٥م) سي. جي. أدموند، رأي مغاير نوعا ما حيث كتب يقول: (جاء حين من الزمن كان الرحالة الجهلة يتوهمون باللغة الكردية، فيعتبرونها من اللهجات العامية الفارسية. وهذا بعيد جدا عن الواقع. صحيح ان اللغتين متصلتان بصلة النسب إلا أن البون شاسع بينهما ونقاط اختلافهما عديدة جدا سواء في المفردات أو النحو أو النطق. فاللغة الكردية هي من مجموعة اللغات الإيرانية الشمالية الغربية المختلفة عن الفارسية الحديثة والفارسية تنتمي الى المجموعة الجنوبية الغربية كما لا يخفى)[١٠٣] .

ناقش الأستاذ فؤاد حمة خورشيد لفيفاً من العلماء والباحثين الذين ينسبون اللغة الكردية الى اللغة الفارسية القديمة والحديثة أو الذين لا يعترفون بهذه الصلة، سواء بسواء، في كراسة «اللغة الكردية، التوزيع الجغرافي للهجاتها»[١٠٤] .

ويرى: (ان الأسباب التي قادت هؤلاء على اعتقادهم الخاطيء فيما يخص أنتماء اللغة الكردية، أو أصلها، هو قلة الأنتاج وندرة التراث المكتوب باللغة الكردية.. ولتعدد لهجات اللغة الكردية)[١٠٥] .

---

١٠٢. ص ٨-٩٧ .

١٠٣ . كرد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، ١٩٧١، ص١١ .

١٠٤. بغداد، ١٩٨٣ م وعدد صفحاته ٥٢ صفحة .

١٠٥. اللغة الكردية، ص١٠ .

ثم يشير الى تمتع اللغة الكردية بخصائصها الأستقلالية بالإعتماد على أقوال المستشرقين جستي Gusti وسوسين وسدني سمث وسون[١٠٦]، ولكنه يتدارك فيقول: (صحيح ان للغة الكردية صلة بعيدة باللغة الفارسية بأعتبارهما تنتميان الى مجموعة اللغات الهندو – أوربية إلا أنهما تختلفان فيما بينهما في نواحٍ عديدة سواء في المفردات أو النحو أو الصرف، أو في النطق)[١٠٧] .

ثم يتحدث عن استقلالية ونقاوة اللغة الكردية الآرية التي عاشت في جبال كردستان بشكل نقي وسليم منذ القدم وحتى الآن. وبعدها يتحدث عن المدلول اللغوي لمجموعة اللغات الهندو – اوربية ومدى علاقة اللغة الكردية بهذه اللغات ويستنتج بعد شروح وتفصيلات وتقسيمات توضيحية الرأي الآتي: (وهكذا يتضح لنا من كل ما تقدم ان اللغة الكردية هي لغة مستقلة تتمتع، من حيث تطورها التاريخي، بإستقلالية واضحة، وهذه الاستقلالية تمنحها شخصيتها اللغوية المتميزة بين سائر اللغات الأيرانية بإعتبارها لغة عريقة سلكت مسار تطورها اللغوي عبر مختلف العصور بشكل مستقل تمام الإستقلال عن الفارسية)[١٠٨] .

ان ملاحظات الاستاذ فؤاد حمة خورشيد لم تخرج عن الإطار العام ومضامين آراء العلماء، الذين حددوا المسار التطوري للغة الكردية بأنها تأثرت بالموجة الهندية الاوربية الآرية الإيرانية، وقد وضحنا في مستهل البحث بأن إيران مصطلح جغرافي وليس عنصري إذ تضم إيران عدة قوميات وقلنا بالإستناد الى العلاّمة الكردي محمد امين زكي بأن بلاد

---

١٠٦. ن.م، ص١٠-١١ والهوامش ٦-٧-٨-٩ .

١٠٧. ن.م، ص١١، والهوامش ٧-٩ .

١٠٨. ن.م، ص١٨ والهامش رقم «١٩».

ميديا كانت مستوطنا لأكراد هم فرع من الأصل الذين كانت مواطنهم في الشمال العراقي الجبلي، وقد تعرض القسم الغربي الشمالي من ايران - بلاد ميديا ولورستان - أولاً للغزو الهندي الأوربي الكاسح ثم تعرض كباقي أجزاء كردستان للغزو الهندو - اوروبي الكاسح ولهذا يعتبر العلماء ان اللغة الكردية هي فرع من اللغة الإيرانية (الميدية وليست الفارسية) الهندو -أوربية الآرية وهو ما أعترف بصحته الأستاذ فؤاد نفسه، كما نقلنا عنه .

وخلاصة كل الاستعراض المستفيض نسبيا أن السكان الجبليين الشماليين أسلاف الأكراد والسومريين كانت لهم لغتهم الخاصة وقد تلاشت تحت تأثير الموجات الآرية الغازية وظهرت لغات محلية، واللغة الكردية واحدة منها، وقد احتفظ ببعض المفردات الأصلية، كما وشقت طريقها في التطور بظروفها الإنعزالية بإستقلالية واضحة.

المبحث الثامن

مواطن انتشار الأكراد وسُكناهُم

كان الشمال الجبلي ملجأً وملاذاً لسكان العراق القدماء الوحيد كما دلت كشوف العلماء گاررود سوليكي بريدوود في الكهوف والمغاور والمواقع الآثارية التي مرّ بنا ذكرها، فأستقروا فيها وتطورت حياتهم حتى تمكنوا من تدجين نباتات وحيوانات برية في الألف العاشر قبل الميلاد وتعلموا الزراعة وصاروا يمارسون أنتاج القوت (للإكتفاء الذاتي) الى جانب جمعهم القوت، الصيد والرعي، وكانت للحياة الرعوية الغلبة في كردستان.

فلما أخذت الظروف البيئية بالتغيّر ويتقلص عطاؤها لتذبذب الأمطار وأنحسارها وهم رعاة متنقلون للأنتجاع، طلبا للكلأ والماء، أنتشروا خارج موطنهم الأصلي الى ميديا ولورستان شرقا والى أرمينيا و تخوم القفقاس شمالا والى غرب منابع دجلة والفرات العليا في الأناضول ومواقع في سوريا. إن هذا الرأي تقاطعه آراء عديدة تعين مواقع أصلية، غير ما ذكرنا، على ضوء تحديد أهم المواقع الأصلية لمنطلق الهجرات الهندو - أوربية الآرية، من أواسط آسيا ومن شمال البحر الأسود، أمتدادا من بحر قزوين الى نهر الدانوب ومناطق البلقان حيث أنحدرت الموجات جنوبا الى اليونان وكريت وآسيا الصغرى وكردستان. إن الأختلاف واسع والأفتراضات متعددة بين العلماء والباحثين حول المواطن التي أستوطنها الأكراد بعد انتشارهم من مهدهم، ولمينورسكي

ملاحظة دقيقة قال فيها:(نستطيع أن نقول بصورة عامة، ان الأكراد والجبال لا يفترقان، كلما بدأت السهول يترك الأكراد الأرض للعرب والأتراك، وحوالي بحيرة وان للأرمن)[١٠٩] . وكردستان (والتسمية ليست قديمة)[١١٠] .

في الحقيقة هي في المناطق الجبلية من غرب إيران وجنوب شرق آسيا الصغرى وشمال وشمال شرقي العراق، ويعتقد مينورسكي:(إذا كانت الأقسام العليا من نهر الفرات ومناطق بحيرة وان (أرمينيا القديمة) هي المهبط أو «الأرض» القديمة التي ظهر فيها الأكراد، فأن الأقسام الجنوبية من طوروس وسواحل دجلة اليسرى «بوتان، خربوط، والزاب الأعلى هي الوطن الأم للشعب الكردي في الأزمنة التاريخية على ما آعتقد»[١١١] .

ويعتقد مينورسكي ان المناطق الجبلية في أرمينيا وكردستان تركيا وفارس الغربية هي موطن الأكراد في فجر التاريخ [١١٢] .

لكن هذه المناطق الثلاث هي مستوطنات كردية أنتقل اليها الأكراد – كما بيّنا سابقا– عقب مغادرتهم موطنهم الأصلي بشمال العراق وأنتشارهم بإتجاهات مختلفة. ويتحدث نيكيتين، في الفصل الثاني، عن موقع بلاد كردستان ومعنى الأسم ومدلوله التاريخي والجغرافي،

١٠٩. الأكراد، ص١٥ .

١١٠. أطلقت من قبل السلطان السلجوقي سنجر في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي، كما يروي، المؤرخ الفارسي حمد الله المستوفي القزويني في مؤلفه نزهة القلوب – أنظر العلاّمة محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٤ و ٥ وهامش المترجم(رقم ٤) في ص٥، أنظر نيكيتين، الأكراد، ص٢٤ .

١١١. الأكراد، ص١٤ .

١١٢. ن.م، ص١٤ .

ويخلص الى ما توصل اليه مينورسكي من تعلق الأكراد بالجبل[113] .

وفي مستهل حديثه عن المنطقة التي يسكنها الأكراد حاليا قال نيكيتين: (لقد تبيّن من هذه الكلمة الجغرافية [يقصد كردستان] ان أول ميزة لبلاد كردستان هو طابعها الجبلي، ففي هذا الإطار الطبيعي نشأ الشعب الكردي فبنى مساكنه في أعالي القمم وسفوح الجبال وفي احضان الوديان، وقد بدأ نشأته على الأرجح على ضفاف أنهر بوهتان والخابور والزاب الأكبر ثم أنتشر بعد ذاك في هضبة أرمينيا في الكردستان التركي وجبال إيران الغربية)[114] .

فهو قد ساير مينورسكي في آرائه بصدد المهد ومناطق الإنتشار بشكل عام، وكتب مؤلفا تاريخ الكرد القديم:(ففي كردستان، ومع بداية العصور التاريخية، ظهرت أسماء تعبر عن أقوام واتحادات قبائل لعبت أدوارها سياسيا وحضاريا في مناطق تواجدها أو خارجها، وصلت أخبارها على الأغلب عن طريق المدونات السومرية والأكدية والآشورية والأورارنية)[115] . ثم تحدثا عن السوئيين (ص٤١-٤٣)، اللولوبيين (٤٣-٥٢)، الگوتيين (٥٣-٦٠) الكاشيين (٦١-٦٧)، الخوريين والميتانيين (٦٧-٧٨)، النائيري والأورارنيين(٧٨-٨٢)، المانيين (٨٣-٨٧) والكردوخيين(٨٨-٩٠).

وكتب سي. جي. أدموندز («كردستان» بالمفهوم الواسع يقصد بها ديار الكرد بوصفهم مجتمعا ذا وحدة قومية متجانسة وهذه الديار مجزأة بين تركيا والعراق وإيران فضلا عن نتوءات داخلة في الاتحاد

١١٣. الأكراد، ص٢٤-٢٩، والخلاصة في ص٢٩ .

١١٤. ن. م، ص٢٨ .

١١٥. ص٣٩ .

السوفيتي وسوريا)[116]. وهي المناطق التي استوطنها الأكراد قديما ولا يزالون كذلك. ويبين د.شاكر خصباك دور العامل التضاريسي في تركيز السلالات التي وجدت في كردستان، فيقول:(فأستأثرت المجموعة الكردية بإستيطان منطقة الجبال العالية وأحتفظت بمميزاتها الأنثولوجية والأثنوغرافية عبر آلاف السنين محتمية بوعورة أراضيها)[117] .

---

١١٦. كرد وترك وعرب، ص٧ .

١١٧. العراق الشمالي، ص١٦٣ .

المبحث التاسع

الأقوام الكردية القديمة

ليس من اهتمام البحث دراسة النظريات الخاصة بنشأة وتكوين القومية ومقوماتها وعناصرها الأساسية وأنما نشير هنا الى ما ذكره بهذا الصدد مؤلفا كتاب تاريخ الكرد القديم (ص٣٩) ونكتفي بذكر الأقوام والقبائل في المصادر التي رجعنا اليها دون ان ندخل في تفاصيل أحداثها، بإستثناء ما يخص أكراد شمال غربي إيران بمنطقة «ميديا» لما يكتنفه من نقاش، فلقد تراءى للأستاذ صلاح سعدالله، في كراسه، عن لغة الكرد وتاريخهم، نقد في الثقافة الكردية[١١٨]. انه يقوّم ما حسبه خطأً يرتكبه أولئك الذين يعتبرون ايران مصطلحا جغرافيا فحسب، ظنا منه بأن إيران، مصطلح عرقي جغرافي، وفي سياق هذا التصور تعني إيران بلاد الآريين، فلكي يتجنب أولئك خطأ عدم التمييز عليهم أن يعتبروا ايران مصطلحا عرقيا جغرافياً. حيث كتب:(إيران «IRAN» مصطلح عرقي جغرافي يعني «بلاد الآريين»، لكن كلمة «الآريين» هنا لا تعني [اي لا تخص . ح. ق. العزيز] الأقوام العديدة القاطنة ضمن حدود ايران الدولية. بل تعني (اي تخص ح.ق. العزيز)الفرس حصرا، لأن مصطلح «إيران» مرادف تماما لمصطلح فارس «PERSIA» أي أن إيران تعني عرقيا بلاد فارس أو «أرض الفرس» «THE LAND OF PERSIA»)[١١٩]

---

١١٨. بغداد، ١٩٨٩م، عدد صفحاته ٢٧ صفحة .

١١٩. ن.م، ص٨ .

وكتب عن ميديا:(ميديا: وهو مصطلح عرفي جغرافي أيضا لا موطن الميديين، ويرد كثيرا في معرض الحديث عن الأقوام القديمة في منطقة الشرق الأوسط، وفي إيران الحالية بالذات)[١٢٠] .

ثم يتساءل عن الميديين وعن علاقتهم بالكرد وهل من الصحيح ان ينسب الكرد إليهم وأنهم بذلك أجداد الكرد وإعتبار الكرد الحاليين مجرد ميديين معاصرين .

ويجيب عن بعض أسئلته بأجوبة غير موثقة ولا دقيقة بقوله: (يبدو ان الميديين قوم ظهروا فجأة على مسرح الأحداث التاريخية حوالي الألف الأول قبل الميلاد في شمال إيران، ولا يزال الغموض الشديد يكتنف تاريخهم العاصف الذي تميز بسرعة بروزهم واختفائهم لدرجة يشك بعض الكتاب حتى في مجرد وجودهم تاريخيا)[١٢١] .

ثم يوجز شيئا من تاريخهم الى ان يصل الى:(وقد انقرض الميديون كقوم، واندمجوا بأقوام المنطقة، لاسيما الكرد والفرس. ولا بد أنهم نقلوا شيئا من لغتهم الى الأقوام التي اندمجوا فيها، مما قد يفسر جزئيا تشابه بعض المفردات في اللغتين الكردية والفارسية)[١٢٢] .

ويحصر الأستاذ صلاح الآرية بالفرس لأن إيران من وجهة نظره كما قلنا (مصطلح أو مفهوم جغرافي عرقي[ETHNIC] بمعنى «أرض» أو «موطن الآريين»)[١٢٣] .

---

١٢٠. ن.م، ص١٠ .

١٢١. ن.م، ص١٠ .

١٢٢. ن. م، ص١١ .

١٢٣. ذ.م، ص٨ .

وهذا غير صحيح لأن الآرية نعت للأقوام التي تأثرت بالموجات الهندية – الأوربية وهي في الشرق تمتد ما بين البحرين الخزر والأسود الى وادي نهر السند فالفرس أيرانيون جغرافيا وآريين أثنوغرافيا وكذلك أكراد ميديا هم ايرانيون جغرافيا وآريون أثنوغرافياً واما العيلاميين منهم مثلا إيرانيين جغرافيا ولكنهم ليسوا بآريين لأنهم لم يتعرضوا للموجات الهندو– أوربية. ان ما يدلل على العلاقة الأخوية البعيدة بين الأقوام المنسوبة للهندو– اوربية احتفاظها ببعض المفردات المشتركة الدالة على الأب والأم والأخ فنجدها في الفارسية والكردية والانكليزية والالمانية وغيرها. كما وان اعتبار ايران مصطلح عرقي جغرافي وليس مجرد مصطلح جغرافي غير صائب ويلتقي مع ما يعتبره الأتراك من ان تركيا مصطلح عرقي فكل من في تركيا تركياً، ما هم إلا أتراكا جبليين فقط، فالآرية ليست حصرا بالفرس وليست في إيران أرض فارس وحسب وأنما إيران بلدهم ويضم أقواماً متعددة فرس وبلوج وعيلام وبختيار وعرب وأكراد وآذريين. لقد سبق لجيمس هنري بريستد ان ميز بين الفرس وحدد موقعهم في الجنوب الغربي من ايران وبين الميديين في الشمال الغربي من إيران ذاكرا بإلتقائهما بالأصل الهندي الأوربي ووضح معنى المصطلح الآري ومجال اطلاقه وبعض الكلمات الدالة على المشاركة بالأرث اللغوي، كتب بريستد:(وكانت جيوش جرارة من الشعوب الهندية الأوربية تزحف من الشمال على بلاد آشور تتقدمها قبائل مادية وفارسية)[١٢٤] .

فهنا تمييز واضح بين فرعي الشعوب الهندية الأوربية، وقد تحدث في

---

١٢٤. العصور القديمة، ترجمة داود قربان، بيروت، ١٩٢٦، ص٢٣أنظر أيضا مؤلفه (انتصار الحضارة، ترجمة د. احمد فخري، القاهرة ١٩٦٢، ص٧–٢٥٦).

الفصل السادس عن الشعوب الهندية الأوربية وتوزعها تحت عنوان «مادي وفارس»[125] .

وذكر أنشطار الآريين الى شرقيين أنحدروا الى الهند تحتفظ كتبهم الدينية بالإشارة الى الوحدة الآرية والوطن القديم شرقي بحر قزوين، والى غربيين ظلوا محتفظين بالأسم القديم إيران[126] . وساروا نحو الغرب الى الجبال المتاخمة للهلال الخصيب(وهنا القى ناسه عصا الترحال ودعوا إيرانيين وكان منهم قبيلتان أشتهرا بالبأس والشدة وهما الماديون والفرس)[127] ثم تحدث عن مملكة الميديين فقال (كان الماديون قد شيّدوا في الجبال الواقعة شرقي دجلة مملكة ايرانية شديدة الحول

---

١٢٥. ن.م، ص١٣١-١٥٠، انظر مؤلفه انتصار الحضارة، الفصل السابع، ص٢٣٨-٢٦١ .

١٢٦. ن.م، ص١٣٥، وكتب في الهامش رقم (٢): (اطلقوا أسمهم على النجد الإيراني الممتد من جبال زاكروس الى نهر السند شرقا، وكانت هذه المنطقة معروفة في أيام اليونان والرومان بأسم «أريانة» المشتقة (مثل إيران) طبعا (آريان). وأشار الى الخريطة التي استنسخناها وهي بين الصفحتين ١٤٠-١٤١).

١٢٧. ن.م، ص١٣٥ . وكتب في الهامش رقم (١) يظهر أنه لم يكن لأسلاف الشعب الهندي الأوربي أسم عمومي. يشمل قبائلهم كلها تحت أسم واحد. وكثر ما كانوا يتسمّون بأسم آريين، وهذا ليس بصواب لأن لفظة الآريين المشتق منها ايران وإيرانيون. كانت تدل على مجموع قبائل هي جزء من الشعب الأصلي أنفصل عن الأصل وموطن البلاد التي الى الشرق من بحر قزوين قرونا عديدة. فحين نسمع ان لفظة «آريين» استعملت للدلالة على الشعوب الهندية الأوربية، لنذكر ان هذا الاستعمال - وان كان شائعا - خطأ من وجهة التاريخ. فالآريون هم ذرية شرقية للشعب الهندي الأوربي الأصلي، انظر برستد، انتصار الحضارة، ص٢٥٦-٢٥٧ .

متسعة الأطراف أمتدت من خليج فارس شمالا على موازاة الجبال الى حدود البحر الأسود فكانت بذلك جبهة الجناح الشرقي من الصف الأوربي الهندي عند هذه النقطة على موازاة دجلة تقريبا). فهو هنا ينسب مادي الى ايران جغرافيا مثلما ينسب فارس أو عيلام الى ايران جغرافيا بينما ينسب مادي وفارس الى الهندي الأوربي عرقيا. فحينما يتحدث عن الأخمينيين وعن الزرادشتية يؤكد صلتها بالفرس الإيرانيين، كما يؤكد أعتراف الفرس بالتمييز بينهم وبين نسبائهم الماديين ويقرون لهم بالتبعية بحكم النفوذ والتسلط، حيث كتب:(كان سكان فارس يعترفون بأنهم اتبا ع لذوي قرباهم الماديين الذين كانوا متسلطين على البلاد الواقعة الى الشمال والشمال الغربي منهم)[١٢٨] .

نعتقد بأن ما أوردناه وان كان غيضا من فيض. بيد أن ما يكفي للإجابة عن التساؤلات والاشكالات المثارة أعلاه بصدد المصطلح الجغرافي والاثنوغرافي وعلاقة الفرس والميديين بإيران وبالآرية وببعضهما البعض، تحدث عن الميديين (الأستاذ طه باقر«مقدمة ٥٧٣» وفيها ذكر عاصمتهم «لكباتا»، همدان الحالية وفي نفس الصفحة وما قبلها وما بعدها عن الفرس الأخمينيين)، محمد امين ذكي (خلاصة، ٥٤ وفيها اول ذكر للميديين في نصوص آشورية تعود للملك ستلما ناصر الخامس، وص٧-٦٨ عن الميديين وتوابعهم) و (تاريخ الكرد القديم، في الفصل الثالث: الميديون / الماد ,MEDIOI، ص١١١-١١٨) ومنذر الموصلي (عرب وأكراد، الميدية الآرية، ص١١١-١٠٨).

---

١٢٨. ن.م، ١٣٧ .



نقلا عن جيمس هنري بريتد، العصور القديمة ص(١٤٠-١٤١)

ندرج ادناه بقية الأقوام الكردية كما وردت في المصادر التي اطلقنا عليها[١٢٩]:

السوئيون (السوباريون)، محمد امين زكي (٦٧-٨)، طه باقر (٧٦-٨)، اللولوبيون: محمد امين (١-٦٠) طه باقر (ص٢٦٩ و٢٧٣ و٤٤٦ يتحدث عن مواقعهم ،النصب التذكاري لملكهم الحملات العسكرية ضدهم).

الگوتيون: محمد امين زكي (٦١-٦٥، ٨٨-٩٢)، طه باقر (وبشكل خاص، ص٢٧٣-٤و ٤٧٧)، الكاشيون: محمد امين زكي (٦٥-٦، ٩٣-٩٥)، طه باقر (٤٣٣ وبشكل موسع ٤٤٦-٤٥٧). الخوريون (الهوريون= فرع من السوباريين، محمد امين زكي نقلا عن سپايزر وسدني سمث) محمد امين زكي(١٠٠)، طه باقر (٧٨-٩)، الميتانيون: محمد امين زكي (٩٧-٨)، طه باقر (٤٥٧) النائيريون، نايري، نيري، الأورارتيون: محمد أمين (١٠١-١٠٥)، طه باقر (٧٩)، المانيون:(تاريخ الكرد القديم، ٨٣ - ٨٦)، الكردوخيون: محمد امين زكي (٧٢-٨٠)، الخلديون، خالدي، (Khaldi) : محمد امين (٩٨-٩) .

اللوريون، مختلف طوائفهم. محمد امين زكي(٤٣٢-٤٤٣).

---

١٢٩. لم نذكر د. جمال رشيد احمد ود. فوزي رشيد لأننا سبق وبيّنا تناولهما الأقوام الكردية في مؤلفهما تاريخ الكرد القديم وارقام الصفحات وذلك بعد هامشنا المرقم ١١٥ فلم نرّ ضرورة التكرار، من المفيد للإطلاع على مؤلف جليلي جاسم جليل، من تاريخ الإمارات في الامبراطورية العثمانية وشرفنامة البدليسي ودليل دراسة العشائر الكردية للأستاذ حسين فيض الله الجاف مجلة كاروان العددان ١٤-١٥ . ١٩٨٣ .

المبحث العاشر

ظروف الأكراد البيئية

أثرت الظروف البيئية التي عاش في كنفها الأكراد وبصمت أثارها في حياتهم الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية وفي طباعهم وعاداتهم وطرز حياتهم، حيث للبيئة الطبوغرافية والمناخية أثر واضح في الشروط الظرفية لنشأتهم وتكوينهم وفي أسلوب ومستوى أنتاجهم مما جعلهم يتميزون بخصال وطباع بارزة فهم مقاتلون بواسل أشداء متمسكون ومتعلقون بالأرض والحرية. ولمزيد من التفاصيل عن تأثير البيئة الجغرافية أنظر د.شاكر خصباك، العراق الشمالي:(التكوين الجيولوجي ١١-٤٥، المناخ ٤٦-٧٦، النبات الطبيعي ٧٧-٨٥، الموارد المائية ٨٦-١٠٨) الأكراد(البيئة الطبيعية الجيولوجية ٩-٢٧، التضاريس ٢٧-٤٠، المياه ٤٠-٤٤، المناخ ٤٤-٥٩، النبات الطبيعي ٥٩-٦٤) وقد بين تأثيرها الواضح على المجتمع الكردي الحديث، على ضوء دراسته الميدانية لمنطقة السليمانية المدعمة بالمصادر والبيانات الرسمية والعلمية وخاصة مؤلف الأستاذ كوردن هستد، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق[١٣٠]، فأستنتج:(ولا ريب أن موقعها المتوسط (كردستان) وبناؤها الفيزيوغرافي قد جعل منها معبرا للأجناس البشرية، وأدى ذلك بالتالي

١٣٠. ترجمة: د.جاسم محمد الخلف، بغداد، ١٩٤٨، وك. هستد وهو استاذ مختص بجغرافية العراق وقام بدراسة ميدانية لمنطقة كردستان، وكاتب البحث من طلابه بدار المعلمين العالية لأربعة أعوام(١٩٤١ -١٩٤٥).

الى تعقد شديد في بنيتها الأنثولوجية والأنثوغرافية)[131] .

وبعد ان يبين انتماء أبناء المنطقة الى ثلاث سلالات هي : الكردية (السلالة الألبية) والعربية والسريانية (السلالة السامية) والتركية-التركمانية (السلالة المغولية)، يعود فيبين التأثير الجغرافي فيقول: (ولقد لعب العامل التضاريسي دوره في تركيز تلك المجموعات السلالية في جهات معينة من المنطقة كما أوضحنا، فأستأثرت المجموعة الكردية بإستيطان منطقة الجبال العالية واحتفظت بمميزاتها الأنثولوجية والأنثوغرافية عبر آلاف السنين محمية بوعورة أرضها)[132] .

لقد اعانتنا كثيرا بحوث ودراسات د.شاكر خصباك وهو المختص بجغرافية المنطقة، حيث باشر بدراسته عنها برسالة لنيل درجة علمية «الأكراد والمسألة الكردية»[133] .

اعانتنا في بلوّرة تصور مقارب للمؤثرات الجغرافية قديما في تركيب البنية الذهنية الحضارية لقدماء الأكراد ، برغم ان دراساته وبحوثه تتناول الظروف الحالية، بيد أن المؤثرات الجغرافية، نسبيا، لم تتغير كثيرا، ولاسيما خلال ٣ آلاف سنة الأخيرة. لقد اعتمدنا أيضا، بالإضافة الى بحوث ودراسات، خصباك، على مؤلف استاذنا كردت هستدو مؤلف مينورسكي، الأكراد، ونيكيتين، الأكراد، وعلى د.عبدالرحمن قاسملو، كردستان والأكراد (نبذة جغرافية: ص١١-٢٩، وان كان مكثفا جدا) وعلى المؤلف منذر الموصلي، عرب وأكراد(الفصل الأول: كردستان الجغرافية «ص٤٥-٥٧»)، ومؤلف دبليو. اي. ويگرام وإدگار. بي. اي.

١٣١. العراق الشمالي، ص١٦٢ .

١٣٢. ن.م.، ص١٦٣ .

١٣٣. طبعت بكتاب، بغداد١٩٥٩ .

ويگرام، مهد البشرية، الحياة في شرق كردستان،(ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، ١٩٧١)، أي إم. هاملتون، طريق في كردستان (ترجمة: جرجيس عبدالله، بغداد، ١٩٧٣) ، س. جي. ادموندز، كرد وترك وعرب، وغيرها..

القسم الثاني

اصول السومريين

المبحث الأول

السومريون ذُرية مَنْ؟

أختلف العلماء والباحثون فيما بينهم كثيرا بشأن أصول السومريين العرقية واللغوية والمهد والسبل التي سُلكت لبلوغ السهل الرسوبي بجنوب وادي الرافدين (بلاد سومر)، كأختلافهم بصدد أصول الكرد. يثير تشابه مواقف العلماء في افتراضاتهم عن الأكراد والسومريين تساؤلات، فيتبادر للذهن أفتراض بأن يكون أحتمال ذلك يعود الى أن جذرهما واحد. برغم أختلاف مناطق وطبيعة سكناهما، بين الشمال الجبلي والجنوب السهلي. ويدعو تشابه العلماء بطبيعة الحال، الى التطرق لموضوع أصول السومريين مع أن البحث مخصص لأصول الكرد، لذلك نعتقد أن الحديث عنهم لم يأتِ خروجاً عن الصدد أو أستطرادا أعتباطيا فضفاضيا غير ذي أنسجام وإنما جاء منسقا ومتعلقا بصميم مسألة البحث عن أصل الكرد بشكل تام.

يتفق أغلب العلماء على أقصاء مهد السومريين خارج بلاد الرافدين،ماعدا قلة توصلت اخيرا على اعتبار العراق هو المهد (طه باقر، في مكان ما، د.سامي سيد الأحمد ود.فاضل عبدالواحد، الشمال الجبلي) كما يتفق العلماء على ان السومريين لا ينتمون، عرقيا ولغويا، إلا الهندوأوربيين والساميين، فمن هم؟

أطلقت على سكان الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي بوادي الرافدين، المطلة على الخليج العربي، المغمور بالمياه وبأحراش وغابات

القصب والبردي، البطائح المستنقعية، القدماء، تسمية: السومريين. ولم تطلق التسمية على قومية وإنما أطلقت على الأرض التي نسبوا إليها بعد ان عمروها وأحيوا أموات أرضها الغامرة وحولوها الى ربوع عامرة فأستوطنوها بعد استصلاحها وتهيأتها للزراعة، فعرفت بعدالأستيطان ببلاد سومر [Ki-em-gi] فليس هناك قومية سومرية وإنما بلاد سومرية مثلما نقول: أكديين، بابليين، وآشوريين بنسبتهم الى أكد وبابل وآشور.. إلخ.

وتعرف التوراة المنطقة بـ(أرض شنعار، سفر التكوين، الأصحاح ١٠، ف١٠ ص١٦) . إن أولى النصوص الواضحة التي ورد فيها أسم السومريين كان في (ألقاب ملوك حضارة وادي الرافدين، وهو لقب «ملك بلاد سومر وبلاد أكد»). وقد أورد الأستاذ طه باقر النص بصيغته السومرية والبابلية [١٣٤] .

ولم يكن لهذه التسمية المزدوجة من امتداد بعيد وانما قد ظهرت بعد العهد الگوتي حينما تمكن الملك السومري «أوتوحيگال» من دحر الگوتيين وتحرير البلاد منهم ولقّب نفسه ملك بلاد سومر وبلاد أكد. إن في تنقحر النص السومري الى اللغة العربية ، وان كان لا يعرف معناه، إلا أنه يعني – كما بين الاستاذ طه باقر – في معناه الحرفي: أرض سيد القصب أو الأحراش ولعل المقصود به الإله السومري الشهير «انكي» أو

---

١٣٤. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ٥٧–٥٨ . ذكر الدكتور «الطبيب» بهاء الدين الوردي:(ومما يجدر ذكره ان كلمة (قلم) جاءت من القصب وان بلاد سومر كانت تسمى (قلم كي -kalm Ki) «بلاد القصب» الذي كان والى عهد قريب يصنع منه قلم (الكتابة)، حول رموز القرآن الكريم، مراكش ١٩٨٣، ج١ ص١٤٢).

«أيا» (مقدمة في تاريخ الحضارات، ص٥٨) . ان هذا التفسير يشير الى ان بلاد سومر كانت تعرف بأرض أحراش القصب والمغمورة بالمياه.

فالمنطقة كانت قبل استصلاحها وسكانها من قبل عُرفوا بالسومريين، بطائح مستنقعية(أهوار) تغمرها المياه وأحراش القصب، وليس التفسير الحرفي للنص يؤكد لوحده حقيقة الهيئة التي كانت عليها المنطقة قبل ان تمتد إليها يد الاصلاح فحسب، بل ان هنالك دراسات آثارية وتأريخية وجغرافية طبيعية(جيوفيزك) تؤيده والأكثر من ذلك ان الاساطير السومرية العقائدية والأساطير كما نعلم، أنعكاس خيالي لتجليات ما يحيط الناس من واقع مادي ملموس وما تدور بينهم من علاقات، قد ذكرت بعض الآلهة والمهمات المسندة أليهم واختصاصاتهم الشاملة للقصب والأحراش والمياه والأسماك الخ.

فالإشارة الواردة في التسمية الى الاحراش والمياه كانت انعكاسا لواقع ملموس شاهده السومريون وعانوا منه ونسبوا، فنطازياً (خياليا)، آلهة متعددة للمياه والقصب والبردي والسمك وسواها.

ليس بين العلماء أختلاف كبير حول استصلاح السومريين البطائح وأستيطانهم فيها وحول تسمية المنطقة ببلاد سومر، فهم في الأغلب متفقون على ان مجهولي الأصل السومريين هم الذين مهّدوا السبيل لبناء الحضارة، بتجفيفهم المستنقعات وتحويلها الى أراض صالحة للزراعة، جادت بعطائها لخصوبتها ووفرة مياهها، مما أتاح لهم تطوير أنتاجهم الزراعي وزجه في المجال التجاري مما ادى بهم الى تعلم الكتابة والحساب والهندسة والفلك وبقية أوليات المعارف. إن هذه الآراء تتفق معها وجهات نظر علماء عديدة، عدا ما يذهب اليه بعضهم (لاندزبيركر، كليب، كرامر) من وجود ناس مجهولين سبقوا السومريين في السكن

بالمنطقة وكانوا على درجة من الرقي الحضاري أعتمد عليها السومريون بأقتباسهم بعض مقومات حضارتهم من هؤلاء المجهولين. بيد أن هؤلاء العلماء لم يقدموا تسمية موثقة للمنطقة ولساكنيها المجهولين هؤلاء وانما اكتفوا بإطلاق تسمية عامة عليهم، من قبيل أوائل الفراتيين أو سكان دجلة الأوائل ويستدلون على ما يدعون بوجود مفردات غريبة في اللغتين السومرية والأكدية - المجاورة للسومرية - وبظهور الأدب البطولي الملحمي لدى السومريين، وهذا اللون من الأدب لا يظهر، بالقياس الى الأدب الأغريقي، إلا لدى أقوام متأخرة ومجاورة لأقوام أكثر منها رقيا وتطوراً حضارياً [١٣٥] .

لكن الاستدلال بالأدب الملحمي وبالمفردات الغريبة على عملية التثاقف (التكيف الثقافي) بين متقدمين ومتخلفين بالنسبة للسومريين يتقاطع مع حقائق مادية ومنطقية وذلك أن إنغمار المنطقة، كما ذكرنا أعلاه، بالمياه وأحراش القصب والبردي، قبل استصلاحها واعدادها للزراعة من قبل السومريين،، كان يحرمها من توفير مقومات الحضارة، فكيف اذن تسنى للمجهولين السابقين أرتقاء سلم التطور الحضاري؟ وأما ما كان يمتلكه أوائل السومريين من معالم حضارية أولية ومفردات غريبة تداولوها، فهي لا تتجاوز مفردات تقنية بسيطة موروثة تتعلق بالزراعة والأرواء واستصلاح الأرض، ورثوها، بالطبع من أسلافهم كخبرات مكتسبة من شمال العراق قبل نزوحهم وانحدارهم صوب الجنوب. وكانت تسميات قديمة ظلت عالقة بأذهانهم فأستخدموها في محيطهم الجديد. ولما كان هؤلاء العلماء يتجاهلون إنتماء السومريين الى اسلافهم الجبليين بشمال

١٣٥. حول ذلك أنظر، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦٣ والهامش ٤٣ .

العراق فأنهم أخذوا يفتشون عن متحضرين مجهوليين (أوائل الفراتيين، سكان دجلة الأوائل) سبقوا السومريين سكنا وتحضراً، بينما يشيد د.انطون مورتكات في عدة مناسبات الى السبق الحضاري في المناطق الشمالية قبل الجنوبية وان الفلاحين – الصيادين بدأوا يبحثون عن أراضي صالحة للزراعة في الشمال ثم في المنطقة الرسوبية بالجنوب[١٣٦] .

ويقول د.سامي سعيد الأحمد (.. وقد يكون السومريين من سكان العراق نفسه سكنوا في المنطقة الشمالية قبل نزوحهم الى الجنوب. ويستدل أصحاب هذا الرأي تكون الحضارة السومرية في بعض عناصرها عبارة عن تطور طبيعي واضح من حضارات عصور ماقبل التاريخ التي أزدهرت في البلاد)[١٣٧] .

ان مما يؤكد سبق الاستيطان والتحضر في الشمال هي التنقيبات الآثارية، يقول مورتكات:(ان الذي يدلل على الأستيطان المتأخر نسبياً للجنوب، هو أنه لم تظهر هناك أية مكتشفات واضحة من العصر الحجري– النحاسي. وفي المقابل أصبح الأمر في هذا المجال عاديا لدينا في شمال ما بين النهرين وفي شمال بلاد الشام)[١٣٨] .

وقال الآثاري والمؤرخ د. فاضل عبدالواحد علي في معرض تناوله الحديث عن السومريين بأنهم من الشمال الجبلي ونزحوا الى الجنوب السهلي[١٣٩] ، ونفى الآثاري والمؤرخ د.هاري ساكز بشكل قاطع ان يكون

---

١٣٦. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة د.توفيق سليمان وآخرين، دمشق، ١٩٦٧، ص١٦ .

١٣٧. العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، ١٩٧٨، ص٢٣٠ .

١٣٨. المصدر السابق. ص١٧ .

١٣٩. من ألواح سومر الى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٨ .

أحد قد سبق السومريين في السكنى بالسهل الرسوبي الجنوبي، فكل التنقيبات الآثارية كشفت عن آثار لا ترقى أبعد من ٤٥٠٠ ق.م في وسط وجنوب العراق وكلها تعود للسومريين وليس لأحد سواهم[١٤٠] .

إن خير تأكيد للسبق الحضاري الذي تحقق في شمال العراق قبل جنوبه ورد لدى مورتكات بقوله (ويبدو حتى الآن أن مركز القيادة للشرق الأدنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي كان يتجسم في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وعلى الأخص منطقة حلف المحصورة بين طوروس وزاغروس، إلا أن الحالة تبدلت خلال حقبة العصر الحجري - النحاسي الوسيط والأخير إذ يبدو وكأن الجنوب قد بدأ لأول مرة يحاذي الشمال في كل خطوة يخطوها)[١٤١] .

يلاحظ، برغم تواتر الآراء عن استصلاح المنطقة الجنوبية بأيدي سومرية فحسب، وأن هؤلاء السومريين قد أنحدروا الى السهل الرسوبي من الشمال الجبلي، ميل الأستاذ باقر الى الأخذ بتلك الفرضيات الزاعمة بأسبقية مجهولين متحضرين في أعمار المنطقة وسكناها، وعدم ترجيحه لفرضية عن أصل السومريين على سواها لذلك ليس لديه ميل نحو الأفتراض الذي يعتبر المنطقة الشمالية الجبلية مهدا للسومريين فحينما عد العراق مهدا من بين الفرضيات لم يحدد المكان في القطر، العراق، وانما قال في مكان ما من وادي الرافدين(مقدمة في تاريخ الحضارات، ص٦٢).

ولما كان ينفي المؤثرات الجبلية في تراث السومريين العقائدي والتشكيلي والأدبي كخلفية مؤثرة فقد حصر المؤثرات البيئية لوادي

---

١٤٠. عظمة بابل، ترجمة وتعليق، د.عامر سليمان ابراهيم، فرنسا، ١٩٧٩، ص٥٢ .

١٤١. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٤ .

الرافدين المحلية والنهرية منها بشكل خاص. إنه لأمر محير حقا، كما ويصعب تعليله أيضا: إذ بماذا يفسر موقفه وهو العالم الجليل والمختص بعلمي الآثار والتاريخ وبتاريخ العراق القديم؟ هل كان ميالا للأخذ ولترجيح الأفتراض الذي يقلص دور السومريين الريادي في بناء الحضارة؟ ويبتر جذورهم العرقية والحضارية الجبلية جاء مسايرة لطروحات علماء كبار مشهود لهم بطول الباع والمتابعة والجهد العلمي الرصين؟ أم لمحاولته تجريد السومريين من كل مؤثر خارجي أو قطري بعيد عن وسطهم المستنقعي بجنوب السهل الرسوبي؟ أم لأن المنطقة الشمالية الجبلية كانت تنفرد بين بقية مناطق العراق الأخرى لخصوصيتها، بظروف مكنتها أن تغدو، لوحدها، ملجأً وملاذاً للسكان الأقدمين فوفرت خزيناً بشريا يمتلك رصيدا من تجارب أولية في التحضر (تذجين بعض النباتات والحيوانات البرية، تعلم الزراعة، بناء المجمعات السكنية – أقدم القرى الفلاحية في العالم، والانتقال التدريجي من طور جمع القوت الى طور انتاج القوت..الخ). ورفدت، فيما بعد، باقي مناطق العراق، الوسط والجنوب، من فيض مازاد عن طاقة تحملها من بشر، ذهبوا وهم يحملون معهم بعض الخبر المكتسبة والمعارف الأولية واللغة النقية التي لم تتصل بها اللغة الهندو-أوربية، بعد.

يبدو ان حقائقا كهذه، برغم تواتر تداولها لدى العديد من العلماء، لم تكن مستساغة لدى البعض ممن تولدت لديهم عقدة لإتجاه الشمال الجبلي، فهل كان الأستاذ طه باقر يشعر بنية حملة هذا التيار الذهنية حتى عمد جاهدا الى الابتعاد عن الخوض في اشكالية تحديد أصل السومريين ومهدهم ومبتدأ تحضرهم بالمنطقة الشمالية الجبلية دون اية منطقة أخرى في العراق أو في خارجه، سواء بسواء؟

المبحث الثاني

علة تعقّد «القضية السومرية»

لا يشكل اختلاف بعض العلماء حول اسبقية سكنى متحضرين مجهولين الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي بوادي الرافدين قبل استيطان السومريين فيه، والتي يميل الى ترجيحها الأستاذ طه باقر، سوى جزء من أختلاف واسع حول أصول السومريين. فقد تضاربت آراء الباحثين والعلماء وتناءت فيما بينها حيال أصل السومريين وموطنهم الأصلي(مهدهم) وسبل هجرتهم، حتى غدا البحث عنها يشكل ما يعرف بـ(القضية السومرية) لتعقدها ولصعوبة توصلهم الى رأي قاطع بالقضية، وذلك لأن الدراسات اللغوية والعرقية لم تكن قادرة على أسعافهم في التوصل الى نتائج حاسمة، ولأن جل ما أفترضوه لم يعد عن تخمينات تفتقر الى اسانيد مادية. وكان أغلب الباحثين قد اقصى المهد بعيدا خارج القطر الى أواسط آسيا وايران والهند وشبه الجزيرة العربية، دلمون (البحرين) والأناضول، بل وحتى الى المجر (هنغاريا) بأوربا. ولا يقتصر اختلافهم حول الأصل والمهد فحسب، بل ان الاختلاف حول عائدية لغتهم وانتمائهم العرقي قائم ولا يزال بين الباحثين والعلماء أيضاً.

ان أغلب الافتراضات تفتقر الى الواقع المادي وإنما جل اعتمادها على تخمينات لذلك ليس بينها ما يرجح على غيره: فمع أن البطائح المستبقية وبقية الأراضي البكر المجاورة للأهوار قد استصلحها، بإعتراف الكثير

من العلماء، السومريون أنفسهم وليس أحد سواهم، وهم الذين اطلقوا على منطقتهم تسمية «بلاد سومر، أرض سومر، Ki-en-gi» كما مر بنا، إلا أن هناك من يصر على وجود مجهولين سبقوا السومريين.. الخ، لذلك فليس بين أفتراضات العلماء المختلفة حول أصول السومريين ما يمكن ترجيحه على سواه حتى يركن إليه في البت بهذه المسائل بشكل قاطع[١٤٢] .

ولا يعود الأمر بالطبع، الى مكانة العلماء العلمية ولا الى أسلوب البحث العلمي السليم، ولكن لأن أفتراضاتهم يعوزها الدليل المادي والدليل المنطقي و كما اسلفنا، حيث لم تسعفها لا الإكتشافات الآثارية ولا التحليلات الأنثروبولوجية في دراستها الأعراق البشرية واستخدامها الراديوكاربوني ١٤ للتحديد التاريخي، ولا المصادر التاريخية المدوّنة، فليس فيها ما يثبت ورود السومريين الى السهل الرسوبي من خارج القطر العراقي، فحتى الجماجم التي عثر عليها بين بقايا هياكل السومريين العظمية والتأكد من تحديد تواريخها بالتحليل الراديوكاربوني ١٤ تشير تلك الجماجم:(الى اختلاط عرقي منذ أقدم العصور، فمن الناحية الانثروبولوجية وجد نوعان من البشر جنبا الى جنب النوع المتميز بالرأس الطويل، نوع الرأس الذي يغلب على أقوام حوض البحر المتوسط بوجه عام ونوع الرأس المدور السائدة في أقوام أوروبا الوسطى وفي أرمينياوما وجد من الهياكل التي ينبغي ان تكون سومرية خليط من هذين النوعين على الرغم مما ذهب إليه بعض الباحثين من ان السومريين كانوا من ذوي الجماجم المدورة، في حين ان الساميين من ذوي الرؤوس الطويلة)[١٤٣] .

---

١٤٢. لمزيد من التفاصيل أنظر: مناقشة. د.فاضل عبدالواحد علي لآراء طائفة من العلماء، من ألواح سومر الى التوراة، ص٢٤-٣٩ .

١٤٣. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٢-٦١ .

المبحث الثالث

مرتكزات تنسيب السومريين للشمال الجبلي

تظهر دلائل ومؤشرات عديدة، والتي سنأتي على ذكرها لاحقا، بأن السومريين هم من نسل سكنة المنطقة الجبلية بشمال العراق وشماله الشرقي وقد انسلوا منحدرين صوب الجنوب لأسباب اقتصادية تتعلق بتغير ظروف بيئتهم الجغرافية، حتى بلغوا المناطق الجنوبية من السهل الرسوبي، التي وجدوها مغمورة بالمياه والأحراش، فأطلقوا عليها أرض أحراش القصب والبردي، ثم باشروا بإستصلاحها وزراعتها والأستقرار بها مما مهد لهم سبل الإسهام بشكل واسع وريادي في بناء الحضارة العراقية القديمة وإمتداداتها الى الأنحاء المجاورة، يفتقر افتراضنا مرتكزات تنسيب السومريين للشمال الجبلي، والمتعارض مع افتراضات علماء ذوي أختصاص، بدوره الى مصادر مادية قديمة توثقه وتدعمه، بيد أن ما نفترضه يختلف اسلوبا وجوهريا مع الافتراضات الأخرى، إذ هو وبتواضع نقول، حصيلة استقراء منطقي بتجرد موضوعي ومبتعد عن التحيز الذي حذر منه د.هاري ساكز(عظمة بابل، ٨-٣٣٧).

يرتكز الاستقراء المنطقي الذي توصلنا اليه الى ان السومريين هم ذرية سكان المناطق الجبلية العراقية بشكل خاص والمناطق المجاورة لها في كل من إيران وتركيا عموما، قبل انحدارهم جنوبا ومعهم خبرات أولية مكتسبة ساعدتهم في البدء، ولا شك في التبكير ببناء الكيان الاقتصادي والاجتماعي والفكري والفني، أي تكون بنيتهم الذهنية الحضارية

الرصينة بعد أن أرسوا في الجنوب، أسس القاعدة التحتية، النشاط الاقتصادي، أرتكز أفتراضنا عن مهدهم وانتمائهم وعن نشاطهم في تهيئة البنية الذهنية المتطورة للمجتمع العراقي القديم، على أمور لا يسع المجال للإتيان بها جميعا ولا التوسع التفصيلي في شرحها وانما سنكتفي بإستعراضها:

١- أطلقت تسمية « أرض سومر، Ki-en-gi» على الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي بوادي الرافدين، الواردة في النصوص والمعطيات السومرية والأكدية، التاريخية والعقائدية، أطلقت من قبل السومريين أنفسهم بعد ان جابهوا طبيعة المنطقة فسموها أحراش القصب والبردي قبل ان تمتد إليها أياديهم لإصلاحها، فهي اذن كانت أرضا غامرة وليس عامرة ولم يسبق لأحد أن أطلق عليها تسمية سابقة لتسمية السومريين، كما ذكرنا مرارا، لقد وردت تسميات بعد استقرار السومريين جزئية وفق نظامهم السياسي المتكون في البدء من حكومات مدن، عصر فجر السلالات، وعدا تسمية التوراة لها بـ أرض شنعار، والمتعارف عليه لدى العلماء بأن المقصود بأرض شنعار هو بلاد سومر، اذن فأن السومريين هم أوائل من قدموا للأرض البكر المغمورة وسموها كما شاهدوها قبل استصلاحها، كما لم ترد أية تسمية سابقة للمنطقة منسوبة لأولئك المجهولين الذين زُعِم بسبق وجودهم وتحضرهم.

٢- تمتلك بنية السومريين الذهنية خزينا ثريا من تجليات الطبيعة المحيطة بهم وعناصرها المادية، الشمالية والجنوبية، سواء بسواء، واذا كان انعكاسها الواقعي قد صور مثاليا، فلا ضير من ذلك، فأنها تبقى للعين الذي لا ينضب للتعرف على الواقع المقرب بالتصور الخيالي. فالتصور الفنطازي لأساطير السومريين العقائدية للإنفعالات المنعكسة

عن تجلي الطبيعة أمام أنظار السومريين في بداية مواجهتهم أرض المستنقعات عما اطلقوه من تسمية لتلك الأرض لهذا أحتوت عقائدهم آلهة للقصب والمياه والسمك .. إلخ.

كما ان استمرار عبادتهم لآلهة الصيد والرعي وإله الجبال يرمز الى المؤثرات القديمة[١٤٤] .

٣- تركت المسطحات المائية المستحوذة على بقاع واسعة في الجنوب أثرا كبيرا في تفكير وتصور السومريين حتى اعتبروا العالم كله ماء ومن خضم البحر العظيم يبرز الجبل الكوني موصلا الأرض بالسماء. فقد عبرّوا في تصوراتهم الابداعية الخيالية، وفي اساطيرهم العقائدية، عن بداية الكون ونشأة الخليقة، عبروا عن حقيقة انفعالاتهم لتجليات ماكان يحيطهم من ظواهر طبيعية وعناصر مادية منعكسة عن واقع مادي ملموس وملحوظ عاشوا فيه وعن سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية لذاك تكتسب الاساطير العراقية السومرية وما تلاها، والتي أصطلح على تسميتها بالأساطير البابلية، لأنها دونت في العهد البابلي، أهمية استثنائية ليس لقدمها وأصالتها وريادتها فحسب، وأنما لنقلها المؤثرات المحيطة بهم، المادية والمعنوية، الى متخيلات عن واقعهم المادي وعلاقاتهم وعن أمانيهم في تحسين مساوىء مجتمعهم، بصورة مقاربة لمحيطهم ولعلاقاتهم، لذلك استنتج الآثاري الفرنسي وطبيب شركة نفط البصرة جورج رو، بشكل دقيق المتصور الفنطازي العراقي القديم حينما قال: (استوحى واضعو أساطير وادي الرافدين إلهامهم من واقع بلدهم)[١٤٥] .

---

١٤٤. ولمزيد من التفاصيل أنظر: مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم.

١٤٥. العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص١٣٨ وفي نفس الصفحة وما بعدها وصف ما شاهده .

لقد تخيل السومريون ومن تلاهم، المياه العذبة (البحر الأول) بأنها هي الأصل وأزلية وليس شيئا آخر سواها سابقا لها في الظهور. ومن المياه العذبة أختلق الكون بإعتبار إن آلهة البحر الأول نمو(Namu) هي أم الآلهة. قام جورج رو بدراسة شبه ميدانية في جنوب العراق فقدم وصفا لمشاهدة عيانية قام بها عن الأرض المغمورة بالمياه عند التقاء شط العرب بالخليج العربي، قرب الفاو في يوم كثيف الضباب تنطبق صورته على ما تخيله السومريون وتصوره على ما تناقله من جاء بعدهم، عن نشوء الكون وبدء الخليقة، وكان كتّاب التوراة من اليهود قد ادرجوا في العهد القديم (التوراة، سفر التكوين، الأصحاح الأول ف١ ص٢) التصور السومري عن بدء الخليقة ونشأة الكون: (في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه).

لم ير السومريون أرضا مهذبة ومعدة من قبل آخرين، سابقين مجهولين وأنما وجدوها، كما ذكرنا سابقا، أرضا تغمرها المياه فهم الذين أقاموا السدود لتجفيف المستنقعات وشق الترع لتوزيع المياه وفي البدء أختلفوا أربابا للوضع البكر فإله للقصب وإله لصيد السمك وإله للأحراش وفي مقدمة الجميع ألهة المياه العذبة ومن ثم آلهة أخرى ومنها للأخصاب. فهذه المظاهر والعناصر المادية في المحيط هي التي كانت تشغل بال وتفكير السومريين مما دفعهم الى الابداع الذهني في تصور معبودات لها.

لقد لخص عالم السومريات المختص، الروسي المولد والنشأة والأمريكي تجنسا، صموئيل نوح كريمر معتقدات السومريين حول نشوء الكون وبدء الخليقة بما يأتي: (١- في البدء كان (البحر الأول)، ولكن لم

يرد ذكر أي شيء عن أصل وجوده ومن المحتمل ان السومريين قد تصوروا هذا البحر على أنه قد وجد منذ الأزل. ٢- ان (البحر الأول) قد ولد الجبل الكوني الذي يضم السماء والأرض متحدين)[١٤٦] .

ويضيف كريمر، لدى حديثه عن فكرة السومريين حول تنظيم الكون، فيقول (لقد تخيل السومريون العالم [الكون، آنكي An-ki] اي السماء - الأرض، على هيئة جبل كوني أُختلق من البحر الأول قمته في أعلى السماء وقاعدته في أسفل الأرض)[١٤٧] .

حملت المنطلقات الذهنية الموروثة من المحيط الجبلي القديم والمسطحات المائية الواسعة التي واجهها السومريون في الجنوب على تشكيل هذا التركيب الأزدواجي(المزاوجة) للكون من مياه تغمر الأرض وجبل يطاول أعنان السماء. فكانت تصوراتهم مستمدة من تجليات طبيعية قديمة وحديثة فلم ينسوا الجبال الشاهقة وهم يواجهون المسطحات المائية الشاسعة التي وصفوها بالسعة والعظمة والأزلية لكنهم لم يتوانوا عن تمجيد أرض أسلافهم أيضا المتمثلة بالجبل الكوني الشامخ من باطن الأرض الى كبد السماء.

فكان الموروث القديم والانطباع الجديد قد تمازجا في بودقة البنية الذهنية السومرية الحضارية لتجد سبيلها في أساطيرهم العقائدية. فتعتبر لذلك مدونات مسمارية خطت بيراع عراقية قديمة على ألواح طينية لأساطير سومرية عقائدية من أوثق وأحسن ما يستعان به لإجلاء غموض أكتنف أصالة وريادة السومريين في البناء الحضاري بجنوب العراق. ولا يقلل من أهميتها كوثائق تأخر تدوينها على ألواح الطين عن

---

١٤٦. الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، بغداد ١٩٧١، ص٦٦ .

١٤٧. ن. م، ص٦٧ .

العهد السومري الى العهد البابلي ذلك لأن نصوص تلك الأساطير بقيت يتناقلها سكان وادي الرافدين جيلا عن جيل حتى زمن تدوينها، وان الذي ساعد على نقائها وأستمرارها هو ان اللغة السومرية كانت الأساس الذي تعتمد عليه مدارس تعليم الكتابة والمراكز الثقافية والروحية في بابل وآشور[١٤٨] .

---

١٤٨. ن.م، ص٥٤ .

المبحث الرابع

النظرة الأحادية الجانب

يعاب لفيف من العلماء ممن يعالجون المسائل من خلال نظرية أحادية الجانب حيث يقصرون بحوثهم وتحليلاتهم بجانب واحد محدد معين من العوامل المؤثرة غفلا منهم أو تغافلا وأهمالا لبقية الجوانب أو العوامل الأخرى، تعمدا او سهوا، حتى وان كانت المتروكة من قبلهم ذات شأن وأهمية أساسية، كعناصر تكوين بنية المجتمع الذهنية الحضارية، ونشاط المجتمع الأقتصادي الأساسية، فأن جنفهم عنهما لابد وأنه في أغلب الأحوال متعمد بوعي وأدراك لضيق أفق الجانفين العلمي والسياسي وتكبلهم بأغلال سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي، لذلك تأتي استنتاجهم، دوماً، مبتورة وعرجاء متعكزة.

فلو تبصرنا بعمق بإفتراض بعض العلماء بأسبقية مجهولين متحضرين السكنى بمنطقة المستنقعات من السهل الرسوبي قبل السومريين لوجدناهم قد أقاموا أفتراضهم على وجود بعض المفردات الغريبة عن اللغتين السومرية والأكدية وعلى وجود أدب بطولي ملحمي لدى السومريين، لا يظهر إلا في حالة مجاورة متخلفين لمتقدمين حضاريا وتأثرهم بهم تثاقفيا(Acculturation) فحسب، بينما أهملوا الشروط الظرفية لتقدم المجتمعات ودراسة نتائج التنقيبات الآثارية وما يعثر عليها من لقى، كالفخار، المعتمدة في تحديد الأطوار الحضارية وفتراتها الزمنية، مثلا. فلو سلمنا جدلا بوجود هؤلاء المجهولين المبكر في البطائح

قبل مجيء السومريين ولكنه من الصعب جدا الأقتناع بزعم تفوقهم الحضاري على السومريين والجميع يعلمون بأن أرض البطائح لم يستصلحها غير السومريين وهم الذين اطلقوا عليها، كما مر بنا، أرض احراش القصب والبردي عندما وطأوها بكرا وهي مغمورة بالمياه، لذلك فأن الإدعاء بإرتقاء المجهولين السابقين مدارج رقي أعلى من السومريين مخالف للواقع والمنطق وذلك لأن مسيرة (عملية) التطور البشري تفترض ربط التطور الاجتماعي جدليا بتطور أسلوب الأنتاج ولما كان هؤلاء القاطنون المجهولون عائشين – حسب الزعم – في بطائح مغمورة لم تمتد لها يد الأعمار بعد فأنهم كانوا في أحسن الأحوال صيادو سمك وطيور ومربو الجاموس والبقر فمجتمعهم مجتمع صيادين ورعاة بينما المجتمع السومري بإتفاق الجميع كان مجتمعا زراعيا. لذلك فلا يجوز تقييم مستوى تطور المجهولين (المجتمع الرعوي) بأعلى ممن تلوهم في السكنى بالمنطقة واستحصلوها وزرعوها (المجتمع الزراعي). لذلك فأن أفتراض، أو بالأحرى أعتبار تخلف المجهولين في سلم التطور هو الصحيح وكذلك اعتبار تقدم المجتمع السومري في سلم التطور هو الصحيح أيضا لأنه مستمد من الواقع الملموس حيث ان المنطقة في العهد السابق لمجيء السومريين وحسب ظروفها البيئية، والتي لم تمتد لها يد الاصلاح بعد، لم تكن تصلح لغير حرفيي الصيد والرعي فكان سكانها، ان صح وجودهم لا يزالون في طور جمع القوت لذلك لا يجوز اعتبارهم أرقى حضارة من السومريين المنتقلين، منذ كانوا في الشمال الجبلي، تدريجيا من طور جمع القوت الى طور انتاج القوت. والذي ارتقى الى مستويات اعلى في الجنوب عند تحول الزراعة الى انتاج بضائعي وليس استهلاكيا فحسب، وكل ذلك جرى بفضل تعلمهم الزراعة وممارستهم اياها في

مواطنهم الأصلية بالشمال الجبلي وفي مستقرهم بالجنوب السهلي، سواء بسواء، بعد تغلبهم على الظروف البيئية بمستنقعات جنوب السهل الرسوبي. إن النظرة العلمية المؤمنة بتطور المجتمعات وفق جدليتها ترى بأن أوائل السومريين الذين استقربهم المقام بجنوب العراق وأستصلحوا اراضيه لم يكونوا خلوا من أسس حضارية أولية تتعلق بالزراعة والإرواء وتربية الحيوان، ونقلوها معهم كخبرات مكتسبة موروثة من موطنهم الأصلي في الشمال الجبلي وأستعانوا بها بعد تجفيف الأراضي المغمورة بالمياه والأحراش وإعدادها للزراعة. وان تلك التقنيات البسيطة المكتسبة هي من موروثات أسلافهم الشماليين فحسب. وأما ما وجد في المجتمع السومري من مفردات غريبة أطلقت على أماكن وحرف وأدوات ونسبت للمجهولين فأن الأفتراض الأكثر أحتمالا للقبول هو أنها بقايا تسميات وتعاريف ومصطلحات موروثة بقيت عالقة بأذهانهم تعودالى ماضيهم القديم في الشمال واستخدموها في مجتمعهم الجديد الجنوبي. لذلك فأن نسبتها الى أولئك المجهولين أفتراض في غاية الضعف خاصة وان منظم تلك المفردات تعود الى مجتمع أكثر تطورا من مجتمع الصيد والرعي إذ تخص المجتمع الزراعي وما فيه من حرف ونباتات مغروسة وحرف تتعلق بالزراعة، كما نلاحظ ببعض المفردات الآتية:

١- إنگار (Engar) فلاح.

٢- آين (Ayin) محراث.

٣- نمبار (Nimbar) نخل.

٤- سولومب (Sulumb) تمر.

٥- تيبرا (Tibira) نحاس، تعدين.

٦- سمگ (Simug) حداد أو نحاس.

٧- نگار (Nagar) نجار (أصل العربية نجار).

٨- ملاح (Malah) ملاح (بالعربية ملاّح).

٩- پخار (Pakhar) فخار. (صانع الأواني الفخارية).

١٠- دمگار (Damgar) تاجر.

١١- أشبار (Ashbar) حائك.

١٢- أشگاب (Ashgab) أسكافي، جلاّد، (صانع الجلود)[١٤٩] .

يلاحظ في هذه الطائفة من المفردات أنها أكثر شيوعا وأستعمالا في المجتمع الزراعي من مجتمع أقل منه تطورا، كالصيد والرعي. ويلاحظ د. فاضل عبدالواحد علي، بعد ان يورد مفردات أكثر مما ذكرها الأستاذ طه باقر، بأن أسنادها للمجهولين ضعيف وان معظمها سومرية الأصل [١٥٠] .

---

١٤٩. نقلا عن الاستاذ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٧٥-٧٦ .
وهناك قائمة بأسماء المدن لم نر ضرورة لنقلها.

١٥٠. من ألواح سومر الى التوراة، ص٢٩-٤١ .

المبحث الخامس

التثاقف (Acculturation) الحضاري والتطور الاجتماعي

يعني التثاقف (التكيف الحضاري) عملية انتقال المؤثرات الحضارية من الأرقى في سلم التطور الحضاري الى الأدنى منهم رقيا وما ينجم عن العملية من انعكاسات وتصارع القيم الموجودة مع المستوردة، من خلال الاتصال والتفاعل. فالتثاقف هو اذن - كما يذكر دينكن ميشيل بـ(العملية التي يستطيع الفرد أو الجماعة عن طريقها أكتساب الصفات الحضارية لجماعة أخرى من خلال الاتصال والتفاعل بينهما)[١٥١] .

إلا أن نظرة بعض العلماء الأحادية خالفت هذا المقياس الحضاري فجعلت السومريين المزارعين الأكثر تطورا يقتبسون مقومات حضارية من أناس مجهولين زعم بأنهم أكثر رقيا من السومريين برغم معطيات وأدلة تشير الى أن أرض سومر لم يعمرها و يزرعها غير السومريين فهؤلاء المجهولين لم يكونوا زراعاً بل، كما ذكرنا مراراً، كانوا، إن صح وجودهم، صيادين ورعاة أي أنهم في مجتمع أقل رقيا من المجتمع السومري الزراعي. يميز دينكن ميشيل بين تثاقف الفرد وبين تثاقف الجماعة، فبالنسبة للفرد يكون التثاقف هو عملية تعليم اجتماعي أشبه بعملية التنشئة الاجتماعية وللغة هنا دورها وأما بالنسبة للمجتمع فالتثاقف هو عملية أنتشار القيم والمقاييس والاحكام الاجتماعية الى المجتمعات الأخرى فتؤثر فيها وغالبا ما تثير صراعا حضاريا بين القيم

---

١٥١. معجم علم الأجتماع، ترجمة د.أحسان محمد الحسن، بغداد، ١٩٨٠، ص١٤ .

الأصيلة والقيم الدخيلة[١٥٢] . ويوضح التعريف العلمي لعملية التثاقف بأنها تتم في ظروف وجود حالتين متباينتين من التحضر أحداهما في موقع متقدم في سلم تطوري والأخرى متخلفة عنها متأخرة فتحصل عملية نقل المعالم الحضارية المتقدمة الى من يفتقرون إليها. فهل كان اصحاب النظرة الأحادية الجانب من العلماء هؤلاء الذين افترضوا وجود فجوة (ثغرة حضارية) بين حضارة الشمال وحضارة الجنوب وان السومريين استمدوا بعض مقومات حضارتهم من مجهولين سبقوهم في السكنى والرقي الحضاري، هل كانوا على صواب في افتراضهم هذه التثاقف؟ ان الجواب على هذا السؤال وعلى ضوء التفسير العلمي لعملية التثاقف وربطها بمسيرة (عملية) التطور البشرية وعلى ضوء التنقيبات الآثارية والحقائق التاريخية، يكون بالنفي لأن نشوء المجتمع الزراعي السومري ارتبط بعملية استصلاح الأراضي المغمورة بأرض سومر وهذه حقيقة يقرها الجميع كما وان هؤلاء المجهولين الدين نسب إليهم القدم والريادة لم يتركوا أثرا ماديا يستدل به على وجودهم المزعوم فأين مدنهم ومعتقداتهم وأساطيرهم ومخلفاتهم الأدبية؟ ان الزعم بأن السومريين قد طوروا المعتقدات والاساطير والكتابة [١٥٣] ينقصه الدليل المادي والمنطقي.

ان المفردات التي تعكز عليها دعاة التثاقف المخطوء انما يمكن أرجاعها الى أوائل السومريين المهاجرين من المنطقة الشمالية الجبلية الى الجنوب حيث كانوا وأسلافهم يمارسون في الشمال الزراعة كما

---

١٥٢. ن.م ، ص, ١٤ بإقتباس مكثف.

١٥٣. أورد صموئيل نوح كريمر حالتي التطوير والابتكار معا في الفقرتين (٢،١) عن المعتقدات والكتابة دون ترجيح أو الافصاح عن أدلة، الأساطير السومرية، ص١٩ .

كشفت عنها التنقيبات في أقدم القرى الفلاحية في العالم، وبإعتراف العلماء فإن الأجزاء الشمالية من العراق كانت أسبق في التحضر من الاجزاء الجنوبية فالتثاقف جرى بين شمال العراق وجنوبه ولا يختلف الآثاريون في هذا الرأي ولاسيما في دراستهم للفخار والصناعة الخزفية وتطورها بين الشمال والجنوب.

واما المفردات الغريبة عن أهل الجنوب من سومريين وأكديين فهي منقولة عن الشمال مع المنحدرين جنوبا. ان هؤلاء البعض الذين زعموا البعد الحضاري للمجهولين وقالوا بالتثاقف الحضاري، وهم من كبار العلماء، ومع تقديرنا لمكانتهم العلمية، نقول بأنهم قد أغفلوا أو تغافلوا عن متابعة عملية التطور الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسير بتفاوت في البدايات وبوتائر التطور بين الشمال والجنوب، وإلا كانوا ينسبون التثاقف جاريا بين الشمال والجنوب وفقا لتدرج تطور المنطقتين في سلم الإرتقاء البشري، الذي كانت بدايته حسب شروط ظرفية موضوعية، في المجتمع الزراعي بشمال العراق وامتداده . بجنوب العراق. تحدّث مورتكات عن بداية التكوين الحضاري فقال (أختلفت الأوضاع في العصر الحجري الحديث، وعلى الأخص في العصر الحجري النحاسي، الذي يبدو وقد بزغ فجره مبكراً في هذه المنطقة. فحضارتهما لم تزدهر فقط على سفوح الأراضي الجبلية وفي الخنادق والكهوف بل انها لنتاج آخر الصياديين وأوائل الفلاحين. ويقصد بذلك ان فلاحين – صيادين بدأوا يبحثون عن أراضي صالحة للزراعة. ولم يقتصر هذا البحث فقط في الوديان والمرتفعات بل تعداها الى ذلك الشريط الخصب الذي يفصل بين الجبال وبادية الشام. كما واجتاز حدود هذا فشمل الأراضي الرسوبية الخصيبة في جنوب بلاد ما بين

النهرين على الخليج العربي، بالقدر الذي كانت فيه هذه الأراضي قد تشكلت بفعل الرسوبيات)[١٥٤] . بل ان مرتكات يجد هناك فاصلا حضاريا بين شمال العراق وجنوبه فيعطي الأسبقية للشمال حيث كانت الظروف البيئية فيه اكثر ملائمة لجامعي القوت من صيادين ورعاة ومن ثم أوائل الفلاحين عند الإنتقال التدريجي الى طور أنتاج القوت. فيضيف الى قوله السابق: وعلى كل حال يبدو من نتائج الدراسات الحالية وكأن جنوب بلاد ما بين النهرين الذي عرف فيما بعد ببلاد سومر، قد دخل مرحلة التطور متأخرا قليلاً عن الأقاليم الشمالية لنهري دجلة والفرات[١٥٥] .

ان ما يؤكد وجهة نظر مورتكات هذه هي ان التنقيبات الآثارية بشمال العراق قد كشفت عن حقائق معترف بها عالميا من ان المواقع الآثارية هي لمجمعات سكنية تعد من بين أقدم القرى الفلاحية في العالم، في جرمو، كريم شهر، تبهكوره، يارم تبه وغيرها، فهذه المواقع الشمالية في العراق هي الاسبق في الاستيطان والتحضر من كافة مناطق العراق الجنوبية، الوركاء، أور، وأريدو، بفضل الأسبقية في الانتقال التدريجي من مرحلة الصيد والرعي الى الزراعة. وقد اشار سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين[١٥٦]

الى هذه الأسبقية ونتائج الحفريات والتفاوت الزمني بين حضارتي الشمال والجنوب [١٥٧] . وكان مورتكات قد ذكر بأن ذلك السبق قد تجلى في شماله بقوله (وقد تجلى ذلك بالدرجة الأولى مقابل ما عرف بعد ذلك

---

١٥٤. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص١٦ .

١٥٥. ن.م، ص١٧ .

١٥٦. ترجمة د.سامي سعيد الأحمد، بغداد، ١٩٨٠ .

١٥٧. ن.م، ص٣٤-٤٨، وعن السبق السكني والحضاري في الشمال ص٧٢-٩٨ .

ببلاد آشور في ضواحي مدينة الموصل الحاليةوفي منطقة الخابور)[158] .

لا تعود أسباب تأخر الجنوب عن الأسبقية في الاستيطان والبناء الحضاري الى عوامل ذاتية وانما يعلل مورتكات تأخر البناء الحضاري في الجنوب عن الشمال بظروفه الطبيعية العائقة للأستقرار والنشاط الأقتصادي المتطور – الزراعة – ويدلل على ذلك بعدم العثور في أطلال الجنوب على أوانٍ تضاهي، من حيث العناية بصنعها وتلوينها، أواني الشمال (الموصل) وفي الشام وإيران وتركستان[159] .

أتاح توفر امكانية مزاولة الزراعة في الجنوب، بعد ان أفلح أوائل السومريين الوافدين من الشمال بتحقيقها، فرصة للإسهام في البناء الحضاري بشكل أوسع وأفضل من نظائرهم المزارعين في الشمال. فلما كانت الزراعة قديما، من العناصر الأساسية في تطور المجتمعات القديمة، لذلك فأن الجنوب الذي كان معاقا عن ممارسة حرفة الزراعة، بيئيا، ظل بالقياس الى الشمال، قاصرا عن الاسهام في عملية التطور الحضاري الى الزمن الذي استطاع فيه أوائل السومريين من تقليص أثر العائق الطبيعي، تدريجيا، والشروع بإرساء أسس الحضارة التي أخذت تنافس الشمالية وتتقدم عليها في الرقي والأزدهار بوتائر أسرع كنتيجة لتطور مستوى وأسلوب الأنتاج في الجنوب عنه في الشمال، بعد انطلاقة النشاط الاقتصادي أثر التوسع في الانتاج الزراعي، الذي غدا في الجنوب بضائعيا بينما بقي الأنتاج الزراعي في الشمال بصورة عامة، أستهلاكيا لسد الحاجة المحلية (الأكتفاء الذاتي).

---

١٥٨. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص١٧ . (والمنطقة التي أشار إليها هي نفس المنطقة التي سكنتها القبائل الكردية قديماً).

١٥٩. ن.م، ص١٧ .

ان لإختلاف خصوبة الأرض والظروف المناخية وتباين طرق الأرواء، بين أعتماد الزراعة (الديمية) في الشمال على الأمطار الآخذة بالإنحسار والتذبذب، وبين أعتماد الزراعة السيحية في الجنوب على المياه الوفيرة أثره الواضح في غزارة المحاصيل في الجنوب بحيث كان الفائض عن الحاجة الأستهلاكية(الغذائية للبشر والعلفية للحيوانات) يطرح للبيع بينما كان الأنتاج بالشمال يكاد ان يكفي لسد الاحتياج في السنين المطرة وتحل كارثة المجاعة (بسني القحط، المحل، الجفاف) عند تذبذب كميات المطر، لذلك فأن إسهام الجنوب في الحضارة، وإن كان تاريخ بدئه متأخراً بيد أنه أخذ يسير بخطى حثيثة نحو الذرى. يقول مورتكات بصدد تأخر الجنوب عن النهوض المبكر الذي بدأ به الشمال: (وقد يكون هذاطبيعيا إذا اعتبرنا ان منطقة الفيضان المستنقعية عند مصب دجلة والفرات قد أمتدت إليها يد الانسان شيئا فشيئا وقطنها بعد ان نفذ فيها طريقة ري بدائية وشق الى جانب ذلك شبكة من الطرق اللازمة ان الذي يدل على الاستيطان المتأخر نسبيا للجنوب هو أنه لم تظهر هناك أية مكتشفات واضحة من العصر الحجري - النحاسي، وفي المقابل أصبح الأمر في هذا المجال عاديا لدينا في شمال ما بين النهرين وفي شمال بلاد الشام وفي إيران)[١٦٠] .

ان من نافلة القول ان نشير الى هذه البقاع التي ذكرها في الشمال هي نفس المناطق التي قطنتها القبائل الكردية قديما. لقد ذكر مورتكات، ولأقواله قيمتها العلمية بصفته مختص بالتاريخ القديم وعالم آثاري ضليع، في مجال آخر أوردناه سابقا:(ويبدو حتى الآن أن مركز القيادة للشرق الأدنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي كان ينجسم في

---

١٦٠. ن.م، ص١٧ .

الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وعلى الأخص في منطقة تل حلف المحصورة بين طوروس وزاغروس إلاّ أن الحالة تبدلت خلال حقبة العصر الحجري – النحاسي الوسيط والأخير إذ يبدو وكأن الجنوب قد بدأ ولأول مرة يحاذي الشمال في كل خطوة يخطوها)[١٦١] .

ويؤكد هاري ساكز التأخر في الجنوب عن البدء بأخذ أسباب التحضر كالشمال وينفي وجود ساكنين قبل السومريين بقوله: (ان مناقشة الموطن الأول للسومريين لابد ان يبدأ، حتى الآن، بإفتراض أنه مهما كان المكان الأول الذي جاءوا منه، فأنه لم يكن في بلاد سومر في الواقع، سكان محليون، على الرغم من ان النظرة القديمة التي تقول ان الأرض لم تظهر من الخليج العربي حتى الألف الخامس تعتبر الآن نظرية خاطئة، غير ان الحقائق الآثارية ثابتة، بأن ليس هناك وجود لآثار ثقافة الأنسان في جنوب بلاد بابل قبل فترة أريدو، التي يكمن تأريخها الى حوالي ٤٥٠٠ ق.م أو بعد ذلك بقليل)[١٦٢] .

لقد عالج سيتون لويد في دراسة، مخلفات سكان المنطقة الشمالية الآثارية السابقين للكتابة الأدلة على السبق السكني والحضاري للأسلاف في المنطقة الجبلية الشمالية، تمهيدا لحديثه عن السلالة السومرية الأولى في الفصل الخامس[١٦٣] .

١٦١. ن.م، ص٢٤ .

١٦٢. عظمة بابل. ص٥٢ . إعدنا الاقتباس لأهمية النص.

١٦٣. اثار بلاد الرافدين، ص٧٣-٩٨ .

المبحث السادس

تأثير الموروث الجبلي في جوانب من بنية السومريين الذهنية الحضارية

تركت استجابات قاطني الجبال اسلاف السومريين الأنطباعية الذهنية لما تجلت لهم من مؤثرات جبلية ايجابية وسلبية، بصمات واضحة في بعض جوانب بنية السومريين الذهنية الحضارية. فقد شغل الجبل، كموروث مؤثر، حيزا كبيرا في مخيلة المبدعين السومريين لدى تسطيرهم لأساطيرهم وملامحهم العقائدية والبطولية وانتاجاتهم الأدبية والفنية والعمرانية، سواء بسواء، فالجبال تشغل سعة ليست باليسيرة في ملحمة كلكامش، مثلا، وقد حاول مبدعو الملحمة أن يفحصوا في تناولهم الجبال بتلك السعة في الملحمة عن مدى تغلغل أثر الجبال في نفوس الأسلاف وهم يباشرون مختلف أوجه نشاط حياتهم في كنفها وعن مدى تأثرهم العميق بعنفوان الجبل وشموخه وأهواله وما كانوا يلاقونه من مخاطر ومهالك قلله وشعابه ومن وحشي حيواناته، من دببة وضباع ونمور وذئاب وسباع ومن عنيف كوارث مظاهره الطبيعية، ومن صواعق وزلازل وبراكين وما يصاحبها من حرائق للغابات وفيضانات الأنهار وأنهيارات أرضية، كل هذه الصور المفزعة المرعبة مع غبطة الأفراح بعطاء الجبل ونعمه وآلائه، كل هذه، قد احتفظت بها الأجيال وتناقلتها كمأثورات شفهيا لتبهم بعد حين، ذلك التأثير الإنطباعي القديم عن الجبال في بنية السومريين الذهنية الحضارية منعكسة في مجالات مختلفة، عقائدية

وأدبية وفنون تشكيلية وإن غدت الصِلات الجبلية غير محسوسة ولا ملموسة بصورة مباشرة في بيئتهم السهلية وأنما متخيلة فحسب، الأمر الذي يسمح للبعض وبضمنهم الأستاذ طه باقر، بنفي التأثير الجبلي في وجدان وتفكير وأنتاج السومريين على أعتبار تأثرهم ببيئتهم السهلية النهرية فحسب، كتب الأستاذ طه باقر يقول:(وبخلاف ما ذهب اليه البعض من نسبة الأصل الجبلي الخارجي الى المهد الذي نزح منه السومريون، لا نجد في المآثر السومرية، وعلى رأس ذلك آدابهم وأساطيرهم وشعائرهم الدينية ما يشير الى الأصل الغريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعية، ولاسيما القسم الرسوبي منه، بل ان طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهرية ذات أحراش وقصب ونخيل وأثل وطمي وغرين وفيضانات وسهول وغير ما هناك مما سبق أن نوّهنا من أثر البيئة الطبيعية في حضارة وادي الدافدين)[١٦٤] .

وفيه يظهر بوضوح عدم ذكر اي تأثير جبلي سواءاً أكان في شمال العراق أو في الخارج. لكن معطيات كثيرة تؤكد التأثير الجبلي حيث يتجلى الأرث الفكري المأثور في تراث السومريين الحضاري بصور شتى وفي مجالات عديدة من معتقداتهم وآدابهم وفنون تشكيلية، كخلفية تراثية معتز بها لها من عميق الأثر بوجدان وأحاسيس الأسلاف، فلم يتحل السومريون وهم يطورون حياتهم ويتكيفون للمستجدات في حياتهم بالسهول المستنقعية بجنوب العراق، عن ذلك الأرث الفكري أو يتناسونه على الرغم من ابتعادهم عن مجال تأثير المحيط الجبلي لسكناهم في بيئة مغايرة للأجواء التي عاش فيها الأسلاف والرعيل الأول من المهاجرين الى بطائح الجنوب. ولقد كان لحياة هؤلاء الأسلاف وأوائل المهاجرين

---

١٦٤. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦٤ .

المتصلة بالجبال الأثر الكبير في خلق الإنفعالات والانعكاسات لتجليات البيئة الجبلية بما فيها من مظاهر طبيعية وعناصر مادية تترك انطباعات مختلفة تجاه المظاهر والقوى الطبيعية وعناصرها المادية الايجابية والسلبية مما أدى الى أبداع تصورات ذهنية متخيلة، غير وهمية، أعتنقها الأسلاف ونقلها معهم المهاجرون الأوائل وعلقت بأذهان الأحفاد المبتعدين عن الوسط المؤثر ذاك فأحتفظوا بها كخلفية مكتنزة. ان استجابة الأسلاف الجبليين لتجليات الطبيعة المحيطة بهم المبكرة كانت بدائية ساذجة حيث أضيفت على المظاهر الطبيعية وعناصرها المتحكمة بحياتهم البدائية خوارق الشعور وأختلقت لها أرباب بعضها خيرة وأخرى شريرة. ودان الأسلاف لما ألهوا فقدموا لها القرابين والأضاحي ليكسبوا أرضها فتتكرم بالمزيد من عطائها وآلائها ولتقلل، قدر الإمكان من نقمتها وغضبها. لقد نقل أوائل السومريين النازحين من مناطق الشمال الجبلية الى مناطق الجنوب المستنقعية، ولابد، تلك المعتقدات البسيطة الأولية، وأجروا عليها تحويرات وتطوير، بعد أستصلاح الأراضي وأعدادها للزراعة بشكل أوسع وتوسع أفق مداركهم ووعيهم لتغير مستوى أسلوب انتاجهم، كماً ونوعاً، ولإتصالهم بمحيط جديد، بيئة نهرية، وبمجتمع زراعي متطور بفضل جهودهم ومساعيهم، لذلك كان أوائل السومريين النازحين كأناس مخضرمين، عائشين في ظرفين مختلفين، يحتفظون بتقاليد وطقوس ومراسيم وأساطير موروثة قديمة مع أخرى جديدة مبتكرة، إما محوّرة عن السابق أو متصورة فنطازيا حديثا بتأثير المستجدات من الظروف البيئية والعلاقات الاجتماعية، فأتاح المجتمع الزراعي الأكثر تطورا في بطائح السهل الرسوبي بجنوب العراق للسومريين أمكانية توسيع أفق مداركهم وهكذا أبدعوا في خلق تصورات

ذهنية جديدة مع الأفادة من مخزون تصوراتهم الثر والموروث من الشمال وهذا ما جعل ص.ن. كريمر يقول عن السومريين:(طوروا أو إبتكروا)[الأساطير السومرية، ص١٩، كما ذكرنا] لذلك بقى أنعكاس تجليات الظاهرة الجبلية مؤثرا نسبيا في مخيلة السومريين. ويبرز الانعكاس المؤثر للجبال لدى السومريين في المجالات الآتية:

أ- المجال الاعتقادي: كان المعتقد السائد لدى الشماليين الجبليين دين الطبيعة بشكله البدائي[١٦٥] .

أسوة بالشعوب البدائية القديمة التي عبدت المظاهر الطبيعية وعناصرها المادية. ولسنا بحاجة الى ذكر تفاصيل تلك الأنواع البدائية القديمة من المعتقدات، كالسحرية والفتيشية والطوطمية والأرواحية، وأي منها السابقة في الظهور، وانما المهم ذكره أن العقيدة الطبيعية البدائية الشمالية كانت ذات تأثر واسع بالجبال، فلما أنتقل أوائل السومريين الى الجنوب وألتقوا ببيئة المسطحات المائية الواسعة تأثروا بالبيئة الجديدة من دون ان يفقدوا التأثير الجبلي الموروث، لذلك حينما ألفوا معتقداتهم الطبيعية ورد فيها ذكر الجبل لفظا صريحا أو إشارة رمزية في مجالات عديدة من تصوراتهم العقائدية. ونورد أدناه بعض تلك النصوص:

١- أعتقد السومريون أن المياه العذبة [البحر الأول] أزلية ومنها مبدأ الكون وان البحر الأول ولد الجبل الكوني الذي يضم السماء والأرض.

٢- أعتقد السومريون بأن (ننا) إله القمر وزوجته (ننگال) هما أبوا (أوتو) إله الشمس الذي يشرق من (جبل الشرق) ويغرب في (جبل الغرب).

١٦٥. أنظر: جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمه سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٧٩، ص٤٠٧-٤٠٩ .

٣- تبدأ أسطورة الغلة والماشية بالسطرين الآتيين:

على جبل السماء والأرض

ولد (آنو) زملاءه (الأنوناكي)

٤- وتقول اسطورة سومرية. ويلتفت آنكي بعد ذلك الى تزويد الأرض بالخصب والأنتاجية فملأ دجلة أولا بالماء العذب ثم الفرات معينا الرب إنبيلولو (Enipilulu) مفتشا للقنوات حتى يهتم بالنهرين ويلتفت آنكي بعد ذلك الى الأهوار فملأها بالسمك والقصب وعيّن الرب الذي ربما يعني أسمه محب السمك مشرفا عليها. وأهتم آنكي بعدها للبحر. ثم يلتفت آنكي الى الحقول فيغمرها بالخضرة ويمد مراعيها بالقطعان وينصب سموكان ربّ الجبال عليها. وعهد رعاية الحيوانات الى دموزي[١٦٦] .

والإله دموزي [تموز في العهد الأكدي فيما بعد] هو من آلهة الشمال عُبد هناك إلهاً للصيد والرعي. ويقول د.سامي سعيد الأحمد عنه:(وأطلقت عليه بعض الكتابات السومرية صياد السمك)[١٦٧] .

وقال عنه هاري ساكز: (والواضح ان إله الخصب والرعي كان قد عُبد قبل ان يطلق أسم دموزي كأسم رئيس له بفترة طويلة)[١٦٨] .

يُظهر بعض نصوص الأساطير العقائدية المنتقاة تمازج الموروثات

---

١٦٦. نقلا عن ص.ن. كريمر، الأساطير البابلية. ص٦٥-٦٦-٦٧ وعن د.سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، ص٣-٣٧٢ .

١٦٧. العراق القديم، ص٢٤٩ .

١٦٨ . عظمة بابل، ص٥٥ . ولهذه الحقيقة علاقة في البحث عن الجذور الأسطورية لملحمة النوروز الشعبية الكردية. وللمزيد أنظر: مورتكات، تاريخ الظرق الأدنى القديم، ص٤١،٤٢،٤٣ .

التعبيرية الذهنية لساكني المنطقة الشمالية الجبلية مع تعابير أنعكاسية لتجليات بيئة مستنقعية جنوبية. ويعتبر تغيير بعض المهام المناطة بآلهة سومرية معينة بإستبدالها أو إضافة مهام جديدة لبعض الآلهة القديمة لتنسجم المهام الجديدة مع الظروف النهرية المستجدة، يعتبر دليل على الرغبة في الاحتفاظ بالآلهة القديمة، وعلى تطوير معتقداتهم لتتلائم مع المستجدات. ويأتي تطور معتقداتهم كميا ونوعيا نتيجة حتمية، ولاشك، لتنامي قدراتهم الذهنية المبدعة في خلق تصورات خيالية جديدة منعكسة عن تجليات بيئية نهرية وعلاقات اجتماعية متطورة، المجتمع الزراعي ممتزجة ببقايا تصوراتهم الموروثة عن تجليات بيئة جبلية سابقة وعلاقات اجتماعية متخلفة مجتمع الصيد والرعي وبداية الانتاج الزراعي، فإله الرعي والخضار، دموزي، قد أنيطت به، مثلا، لاحقا مهام صيد السمك والأخصاب، فهذه المهام الجديدة ظهرت مع وفرة السمك وأهمية إخصاب الأرض بالجنوب، والتي لم تكن لها ضرورة بالشمال. وبينما لم تكن لدموزي هذه المهام وهو يُعبد في الشمال كإله للرعي، لهذه الحقيقة تفسيرات لا تخرج عن تطور التصورات العقائدية بالإرتباط بتغيير أسلوب الإنتاج وتبدل الظروف البيئية مع بقاء رواسب من طقوس وشعائر ورموز وأساطير قديمة أحتفظ بها أعتزازا. فإذا دققنا في أساطير السومريين العقائدية نرى أزدواجية الإنفعالات تجاه تجليات بيئتين مختلفتين الجبلية والسهلية المستنقعة، البحر الأول يبعث الجبل الكوني، وهذا مما يدلل على أستمرارية دين الطبيعة بصور متداخلة بين القديم والجديد، مع براعة التنسيق بينهما وحتمية التطور بتنامي الوعي والادراك لتغيير أسلوب الإنتاج، يقول مورتكات:(.. وهذا ما يقودنا أيضا الى إفتراض آخر وهو أن ديانة العالم السفلي المتمثلة بأم الأرض

وقطعانها المقدسة التي كان يدين بها المجتمع الزراعي لم تكن الديانة الوحيدة. بل لابد أن تكون هناك ديانة أخرى نشأت عن تقديس آلهة محلية أو عن تقديس آلهة مجتمع الصيد الأقدم عهدا من ذلك. وعلى كل حال يبدو ان نقش رسومات كلاب الصيد والحيوانات البرية على الاختام المسطحة أنما تشير الى ان أفكار مجتمع الصيد لم تكن قد اندثرت بعد، رغم ان المجتمع قد أنتقل الى طور الزراعة)[١٦٩] .

فهو هنا يستخلص بأن ممارسة بعض طقوس وعبادات شمالية قديمة تعود الى مجتمع الصيد قد أستمرت حتى قيام المجتمع الزراعي المتكامل بالجنوب والناشيء بالشمال.

إن ورود ذكر جيل في الاساطير الاعتقادية لا يضاهي السعة التي يشغلها في ملحمة گلگامش، وان هذا الذكر في الاساطير والملحمة لدليل ساطع على مدى تأثر السومريين بالموروث الإعتقادي لأسلافهم الشماليين الجبليين.

ب- المعابد المدرجة، الزقورات (ziggurato) [١٧٠]

شيّد السومريون معابداً لهم بمدنهم السهلية عُرفت بالزقورات [الزقورة – Zigurate– البابلية = السمو والعلو][١٧١] .

---

١٦٩. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٨، وكتب كريمر:(طور السومريون المفاهيم الدينية والروحية كما دمجوا مجموعة الآلهة المختلفة على نحو رائع) الأساطير السومرية ص١٩ .

١٧٠. حول الزقورة أنظر: مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٦-٧، ٣٩،٣٨،٣٧، سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ص١٣٩-١٤٢، ١٧٨-١٨٠ ، ١١٢-٢١٥، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ٢٦٧،٢٣٦ ، د.سامي سعيد، العراق القديم، ص٢٥١-٢٦٧، د.فاضل عبدالواحد، من ألواح سومر الى التوراة، ص٩٦-١٠٧ .

١٧١. د.فاضل عبدالواحد علي، من ألواح سومر الى التوراة، ص١٠٣ .

وكان انشاؤها على غرار الشمالية ، بالبدء، بسيطة فوق مساطب لتعلو في منبسط الأرض فترتفع نسبيا عما بجوارها، وقد سما بعضها، فيما بعد، علواً أو رونقاً وبهاءً، كزقورة أور البهية(المگير) وبرج بابل المهيب، بهيئة مدرجات ذات أطباق (٣-٧) مخصصة للعبادة والاحتفالات والاجتماعات والحزن، ولشؤون أخرى. ويرمز المعبد الشامخ بعليائه والباهر بمدرجاته، وفق آراء طائفة من العلماء، الى الجبل، بإعتبار أن الجبل كان موطن السومريين الأصلي، كما أتخذ العلماء الزقورة دليلا على أنتساب السومريين لأسلافهم الجبليين. فتكتسب الزقورة وقيمتها الرمزية علاوة على أهميتها العقائدية كمركز للعبادة، كمعبد، إذ تُخلد الزقورة، كتشكيلة تعبيرية، بتجسيد حي، أعز مفقود لديهم له أمتداد بعيد في ماضيهم التليد، لذلك فأن تسميتهم المعبد بالزقورة (العلو أو السمو) لم تطلق لمجرد الارتفاع وانما للعزة والرفعة والشموخ لما هو سام وعزيز في ماضيهم المجيد، فهم يرمزون بالمعبد، ولا شك، بهيئته المدرجة وعليائه البارز، الى الكيان الشامخ الجبل.

لقد عبّرت هذه التجسيدات المادية أضافة الى انجازات وابتكارات ابداعية أخرى، الكتابة، أوليات العلوم والمعارف الرياضية والفلكية ومبادىء فلسفية، مدى غنى بنية السومريين الذهنية والحضارية، الذي أمتد تأثيرا شعاعيا فكريا وتنويريا أفقيا الى بلدان الشرق الأدنى المجاورة والبعيدة، وعموديا في مسار تاريخ التطور الحضاري العالمي. كتب بهذا الصدد مرتكات يقول:(انتزعت سومر القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الأدنى عند مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد وسبقت حقا مصر في خلق اول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية)[١٧٢] .

---

١٧٢. تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٣١ .

ويضـيف هذا العـالم المؤرخ الآثاري الألمـاني، مـورتكات، بعـد حين في مجال آخر، وهو يثمن الإنجازات السـومرية الإبداعيـة، قـائلا:(وعلى أي حال سواء أكان السومريون قد استقروا في البلاد منذ العصر الحجري – النحـاسي أو قدمـوا إليـهـا بعد عصـر الصـيـد فقـد ظلّت أعمـالهم في المضمـار الحضـاري، وخاصـة خلال النهضـة السـريعة التي شملت فجر التاريخ، المنار الذي سـارت على هذه بلدان الشرق الأدنى لعدة قرون بل لآلاف من السنين. إضـافـة الى ذلك فـقـد كـان لهم النصـيب الأكـبـر في الاشعاعات البعيدة المدى لهذه المنطقة على غيرها من بقاع العالم)[١٧٣] .

وكتب الآثاري الهولندي المؤرخ هـنري فرانكفـورت عن الرمز الذي يعـينه بناء مـعبد الزقـورة، يقول:(يقـال احيانا ان السـومريين وهـم ينـحـدرون من منطقة جبلية، رغبوا أن يواصلوا عبادة آلهتـهم على «الأمكنة العالية» ولذلك كانوا يشيدونها غالباً في السـهل. والسؤال هو لماذا كانوا يعتبرون «الأمكنة العالية» مناسبة، لاسيما وأن الآلهة المعبودة هناك لم تكن من سكان السماء وحسب، ولكنها كانت أيضا وفي الدرجة الأولى، آلهة أرضية، ان تفسيرنا ينطلق من «الجبل» كمظهر يحمل المعنى لا كيزة جغرافية)[١٧٤] .

ويضيف هـ. فرانكفورت الى قوله: (وهناك نظريات عديدة تعتبر ناحية واحـدة أو عدة نـواح من الجـبل كرمـز ديـنـي. ونحن لا نسـتثنيـهـا ولكننا نعـتـبـرها بوجـه الاجـمـال فكرة اضـافـيـة للفكرة الأسـاسـيـة القائلة بأن «الجبل» كان يعتبر المكان الطبيعي للنشاط الإلهي)[١٧٥] .

---

١٧٣. ن.م، ص٣٣ .

١٧٤. فجر الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٦٥، ص٧٠ .

١٧٥. ن.م، ص ٧٠ هامش (١) وأضـاف: (ان كل المادة التي تتـعلق بأبراج الهـيـاكل والتفسيرات المتعددة التي قدمناها، معروضـة بصورة مناسبة في مؤلف اندرو بار، الأبراج المدرجة. برج بابل، باريس ١٩٤٩).

وكان هـ. فرانكفورت قد كتب في متن الصفحة (٧٠) ما يأتي:(ويظهر لنا مغزى الزقورة من الأسماء التي يحملها الكثير منها، وهي اسماء تعرفها وتحددها على أنها جبال لا تلال مصطنعة، فأن زقورة الإله أنليل في نيبور مثلا تُدعى منزل الجبل، جبل العاصفة، والرابطة بين السماء والأرض، وكلمة «جبل» كما تستعمل في ما بين النهرين عبارة تحمل معنىً دينياً)[١٧٦] .

لم ير الأستاذ طه باقر (مقدمة، ٢٣٦،٢٣٧، ٣٢٨،٢٣٨) د. سامي سعيد الأحمد(العراق القديم، ٢٥١-٢٦٧) ،د.فاضل عبدالواحد (من ألواح سومر، ٩٦-١٠٧) .

علاقة بين الزقورة والجبل، وانما تحدثوا عنها كوحدة معمارية مخصصة لشؤون دينية فحسب. بينما يشك هاري ساكز في صحة أسلوب المناقشة التي تعتبر الزقورة دليلاً على موطن السومريين الأصلي وان كان جبليا حيث يرى:(ان الزقورة التي تمثل الجبل الكوني لم تكن مرتبطة بمنطقة معينة بل بعلم الكونيات الذي كان موجودا في العالم القديم مع اختلافات متباينة، من مصر الى الصين)[١٧٧] .

ويرى هاري ساكز ان الزقورة مكرسة لأغراض دينية معتمدا على مناقشات بعض العلماء وعلى ما ورد في التوراة عن حلم يعقوب (سفر التكوين، الأصحاح ١٢/٢٨) حول السلم الذي يخبرنا بأنها كانت سلما منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها[١٧٨] .

---

١٧٦. ن.م، ص٧٠ .

١٧٧. عظمة بابل، ص٥٣ . وللمزيد من آرائه أنظر الصفحات ٤٠٨-٤٠٩-٤١٠ .

١٧٨. ن.م، ص٤١ .

وبهذا المعنى ناقش د.فاضل عبدالواحد روايات التوراة[١٧٩]. وكانت لفرعون رغبة الاطلاع من على صرح، وطلب من هامان بناءه له.

إن ربط فكرة تشييد الزقورة، مدرجة بعلياء بارزة، بالجبل الشامخ يتصل بموضوع تحديد الموطن الأصلي للسومريين، فطالما لا توجد قناعة بإعتبار الشمال الجبلي في العراق موطنا لأسلاف السومريين بصورة تامة فلا يحصل تصور كامل بوجود علاقة وجدانية بين تشييد المعبد في معظم المدن السومرية مرتفعا ومتدرجا وبين الجبل، الذي غادروه في الشمال.

جـ- مدلول كور Kur السومري:

وردت لفظة كور Kur في معطيات الابداع السومري الذهني العقائدي والفكري والفني لترمز الى الأرض والجبل والعالم الجبلي، متجاوزة التحديد الأصطلاحي المعنوي، المادي والجغرافي لهذه المفردات، فالكور هنا بعطائه وثرائه كما هو بجبروت سموّه وشموخه وأهوال كوارثه المدمرة ولهذا أُختير الكور ليمثل العالم السفلي، دنيا الأموات والأرض التي لا عودة منها Kur-nu-gi والكور هو الأرض الغربية، أي مقر الذين غربوا [أي الذين ماتوا ورحلوا عن الدنيا، مثلما يُعبّر الشروق عن بدء الحياة] ، وهي أرض الغرباء، الأجانب الجبليين، لذلك يُعتقد بأن لكلمة كور علاقة بكلمة الغور العربية التي تعني الأعماق وكذلك لها علاقة بكلمة «قور» الكردية التي تعني القبر وكذلك بكلمة كور وكوردا التي وردت في النصوص السومرية لتعني الأكراد، لأن لفظة كور تطلق على الأعداء الجبليين.

---

١٧٩. من الواح سومر الى التوراة، المبحث الخامس، زقورة بابل، ص٢٩٣-٢٩٨ . وعن الزقورة بشكل عام، ص١٠٢-١٠٧ .

ان استعمال كور كمرادف لمعان في مقدمتها الجبل من قبل السومريين القاطنين في السهل الرسوبي لدليل واضح على عظم تأثر أسلافهم بواقع ظرفهم الجبلي، وعلى مدى تمسك الأحفاد بالموروث برغم ابتعاد الاستجابات الانعكاسية لتجليات المظاهر الطبيعية الواقعية وعناصرها المادية. كتب ص.ن. كريمر، وهو من المختصين بالسومريات، يقول: (من المباحث الخاصة بالمعتقدات والتصورات التي يصعب جدا تحديد مدلولاتها وترجمتها، ما نجده متمثلا بالكلمة السومرية (كور) التي تعني بالدرجة الأولى (جبل) وهذا المعنى يعتمد في الواقع على العلامة التي تمثلها في كتابة الرمز التصويري والتي تمثل (الجبل) فعلاً، وقد تطور معنى كلمة كور فأصبحت تعني البلاد الأجنبية لأن السكان الجبليين المتاخمين لسومر كانوا يؤلفون خطرا دائميا بالنسبة لسكان سومر. وتعني كلمة (كور) أيضا (الأرض) بصورة عامة وقد وصفت سومر على أنها (كورگال) أي (الأرض العظيمة)، أضف الى ذلك ان هذه الكلمة تتضمن مدلولا كونيا، وذلك لأنها تشابه الى حد معين كلمة (گي گال) السومرية والتي تعني (العظيم الأسفل) وهي بهذا المعنى تطابق معنى كلمة «العالم الأسفل»)[١٨٠] .

ثم يذكر القصائد: هبوط انانا الى العالم الأسفل، وگلگامش وأنكيدو والعالم الأسفل، والأساطير التي ورد فيها كور بمعنى العالم الأسفل[١٨١] .

وكتب ن.ك. ساندرز N.K.Sandars عن ملحمة گلگامش وهو ينقحرّها الى اللغة الانگليزية، عن العالم السفلي فذكر: (وكان الأسم السومري

١٨٠. الأساطير السومرية، ص١٢٢ .

١٨١. ن.م، ص١٢٢ . وقد ذكر من اساطير كور: (١) هلاك كور وذبح التنين، ص١٢٣-١٣٠، هبوط انانا الى العالم الأسفل، ص١٣١-١٤٧ .

الدال على العالم السفلي وهو «كور» يعني آيضا الجبل والأرض الغريبة، وغالبا ما يكون هناك إبهام كثير في استخدامه، وكان العالم السفلي يقع تحت سطح الأرض ولكنه فوق المياه السفلية أي الهاوية العظمى. وكانت الطريق إليه هي «الطريق الى الجبل»[١٨٢] .

وتحدث ن.ك. ساندرز عن ملك الجبال والبحث في الجبل وغابة الأرز فقال:(وكان حمبابا يحمي غابة الأرز عن طريق بوابة سحرية وهما يلقيان وحدهما العملاق حمبابا الذي أُختلف في تحقيق هويته أهو إله سوري شمالي أم أناضولي أم عيلامي؟ وذلك وفقاً لما يُجتلى بشأن الرحلة، أكانت تفضي الى الجبال الشمالية أم الى الجبال الشرقية، وكان حمبابا يحمي غابة الأرز)[١٨٣] .

ملاحظة شكلية: كتب الأستاذ يوسف داود عبدالقادر، مترجم كتاب «الأساطير السومرية»، لمؤلفه ص.ن.كريمر، شرحا لجملة (الأرض التي لا رجعة منها) في هامش الصفحة ١٣٣ رقم «٢» ما يأتي: (وتسمى بالسومرية(Ki-nu-gi) وترجمتها باللغة الأكدية(ارصت لاتاري) أي الأرض التي لا رجعة منها. أنظر ملحمة گلگامش للأستاذ طه باقر – هامش ٦٣ صحيفة «١٠٧» المترجم)[١٨٤]

ان شرح الاستاذ يوسف هذا لا يمتلك الدقة العلمية لأن شرح الأستاذ باقر طه المشار إليه موجود في ص١٥٩الهامش ١٨٦ وفيه كتب الأستاذ طه باقر: (يشير الى ذلك أسم العالم الأسفل باللغة السومرية Ki-nu-gi

---

١٨٢. ملحمة گلگامش، ترجمة محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاطي، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٦ .

١٨٣. ن.م، ص٣٠ .

١٨٤. الأساطير السومرية، ص١٣٢، هامش ٢ .

ومرادفه باللغة البابلية «ارصت لاتاري» أي الأرض التي لا رجعة منها) . فليست التسمية Ki-nu-gi وإنما Kur-nu-gi . أنظر: كذلك مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، للأستاذ طه باقر ص٣٣٤ (الهامش) وفيه:(يسمى العالم الأسفل أو عالم الأموات بالسومرية «كور – نو- كي» وبالبابلية «ارصه لاتاري» وكلتا العبارتين تعني «الأرض التي لا رجعة منها»)[١٨٥] .

يستوقفنا التطابق اللفظي والمعنوي بين مفردة كور السومرية في احدى معانيها (العالم السفلي) مع نظيرتها «كور» [العمى] الكردية، حيث توحي كلمة كور وتوصف العالم الأسفل بالعمى وعدم القدرة على الرؤيا فيه، فقد ورد في أسطورة نزول الآلهة «عشتار» الى العالم السفلي [١٨٦]، ما يشير صراحة الى العمى في ذلك العالم المظلم، حيث وردت النصوص الآتية :

الى أرض اللاعودة ، مملكة ايريشكيگال

تطلعت «عشتار» إبنة «سين»

تطلعت –ييا– أبنه «سين»

الى بيت الظلمة، موطن – اركالا

الى البيت الذي لا يتركه من دخله

الى الدرب الذي لا عودة منه

الى البيت الذي يفقد فيه من دخله البصر

فيكون التراب فوقهم، والطين طعامهم

---

١٨٥. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٣٣٤، الهامش .

١٨٦. نقلا عن كتاب «أساطير بابلية ترجمة سلمان التكريتي عن النص الانگليزي بغداد، ١٩٧٢، ص٩٤-٩٥» .

ولا يرون الضياء، ويقيمون في ظلام دائم.. الخ [١٨٧] ففي هذه النصوص تصور واضح لما يصيب النازل الى العالم الأسفل من حالة فقدان القدرة على النظر في تلك الظلمة الحالكة الموحشة أي أنه يفقد البصر ويصبح أعمى ولا يحتاج من له إلمام بسيط باللغة الكردية الى واسع الجهد ليكتشف التطابق بين المفردة السومرية والكردية «كور» في معنى العمى. بيد أن هذا التجانس اللفظي والتطابق المعنوي بحاجة الى مزيد من الدراسة المعمقة والتي لا تتوفر إلا في أشخاص يجيدون اللغتين السومرية والكردية معا [١٨٨] للكشف عن مدى العلاقة بين السومريين والأكراد وللأجابة عن الأصول العرقية واللغوية لكليهما.

يبقى وصف العالم السفلي (كور) بالظلمة، وهو شيء طبيعي، بحاجة

---

١٨٧. ن.م، ص٩٤–٩٥ وقد كتب في هامش ص٩٤ ما يأتي:
(ايريشكيگال: الآلهة في العالم السفلي عند البابليين، وأخت عشتار وزوجة (نرگال)، إله العالم السفلي. وان العالم السفلي المسمى «كور» في الأساطير السومرية هو عالم الأموات وفيه آلهة ورئيس آلهة أيضا، والظاهر من الأساطير السومرية والبابلية آلهة وآلهات العالم السفلي هم آلهة مغضوب عليهم ومنقبون فيه)، كما هو الحال مثلا بالنسبة لتموز زوج «عشتار» و (انليل) الذي أغتصب (ننليل)، وكذلك (انكيدو) إله القنوات والري، و(گيزيدا) و(ننازو) و(ننگزيدا). لقد ورد أسم الإله نركال مخطوءاً. إذ كتب تركال و أهجج نركال. وشرح أيضا:(اركالا: أسم لآلهه العالم السفلي. ايريشكيگال زوجة (نرگال) إله العالم السفلي) وكذلك شرح :(سين إله القمر عند البابليين، وقد ولد من اغتصاب (ننليل) من قبل الإله (انليل)(الذي نفي الى العالم السفلي)، اساطير بابلية ص٩٤ الهوامش ٣١،٣٢،٣٣).

١٨٨. نعتقد ان د.جمال رشيد احمد و د.فوزي رشيد خير من يقوم بهذه المهام لمعرفتهما اللغتين السومرية والكردية واختصاصهما بتاريخ العراق القديم وخاصة السومريات وبالآثار فعسى ان يوجها اهتمامها نحو هذه المواضيع.

الى توضيح: فهل المقصود بها العماء Chaos : إختلاط أوتشوش كامل؟ أي مثلما توصف حالة الكون المختلطة قبل التكون الهيولي؟ أم دياجير أغوار عميقة معتمة؟ لأن من معاني (كور) أيضا كلمة (الغور) العربية، كما ذكرنا سابقا، فهل لهذا الوصف من علاقة بوصف (قور) الكردية و(القبر) العربية بالظلمة والوحشة؟

المبحث السابع

وحدة العلاقة الشعورية والتأثر الانفعالي بين الأسلاف والأحفاد

ظهر من خلال الدراسة الموجزة الحالية لبعض مظاهر تأثر السومريين بالجبل على أستمرار بقايا (رواسب) العلاقة الشعورية القديمة بالبيئة الجبلية كامنة في وجدان الأحفاد المزارعين في السهل الجنوبي، دليل على عمق علاقة الأسلاف الجبليين الشعورية بظروفهم البيئية الجبلية، وعلى صعوبة تخلي الأحفاد السومريين السريع عن رموز أساطير محتفظين بها كخلفية موروثة، لعمق تغلغل انطباعها وتأثيرها في نفوسهم ووجدانهم.

لذلك أستمر كامنا فيهم تأثرهم بالجبال وان ناءوا عنها بعيدا، فلم تستطع ظروف بيئتهم السهلية النهرية الجديدة أن تمحي من ذاكرتهم نهائيا وهم يبدعون تصوراتهم الذهنية العقائدية الخيالية ويبنون معابدهم المدرجة ويسطرون اساطيرهم عن الكور آثار البيئة القديمة المأثورة في بنيتهم الذهنية الحضارية اللاحقة. وقد تجلى، كما استعرضنا، التأثر بالبيئة الجبلية القديمة واضحا في مجالات خلق وابداع وتطور انتاجهم العقائدي والأدبي والتشكيلي. بيد ان استمرار تأثير العلاقة الشعورية بالجبال لدى السومريين، على الرغم من الأبتعاد عن تأثيرها الفعلي المباشر في حياتهم، لا يعتبر تشاكلا (تماثلا في الشكل) عموديا بالموقف والعلاقة بين اساطير متعاقبة زمنيا ومختلفة مكانا وانتماءاً، وانما هو

بالأساس دليل على وحدة العلاقة الشعورية والتأثر الأنفعالي بين الأسلاف والأحفاد برغم اختلاف طبيعة العلاقة المباشرة وغير المباشرة بين تجليات الطبيعة والإنعكاسات الإنسانية تجاهها، نتيجة الإختلافات البيئية، ولهذا السبب لم تكن وحدة العلاقة الشعورية تجاه الجبل تامة التطابق بينهما مما فسح المجال لبعضهم لنفيها قاطبة حيث قصروا تأثر السومريين ببيئتهم السهلية النهرية فحسب. لقد كان تناول البحث لبعض الجزيئات بشيء من التفصيل له ما يبرره وذلك لأجل تقليص فجوة الاختلاف بين آراء العلماء المتباينة حول أسلاف السومريين وموطنهم الأصلي والمؤثرات البيئية في مجمل بنيتهم الذهنية الحضارية وانتاجاتهم المنوعة. فبعضهم يقصيهم عن الجبل وتأثيره وعلى العكس يرى البعض الآخر ذلك التأثير واضحا كما ذكر د.سامي سعيد الأحمد:(واستعمل السومريون الرمز الخاص للجبل والبلاد للتعبير عن مدلول واحد بما قد يدل عن كون الأثنين بمعنى واحد عندهم واحتمال كون بلدهم الأصلي جبليا. ثم ولعهم ببناء الزقورات في معابدهم ووجود اشجار وحيوانات جبلية في رسوم اختامهم الأسطوانية أمثال السرو والأرز والوعل الجبلي ذي القرون والماعز الجبلي الطويل القرون)[١٨٩] .

ويعود د.سامي بعد هذا العرض ليقول:(.. وقد يكون السومريون من سكان العراق نفسه سكنوا في المنطقة الشمالية قبل نزوحهم الى الجنوب)[١٩٠] .

وبينما نجد الأستاذ طه باقر ينفي، كما ذكرنا سابقا، أي تأثر سومري بالمنطقة الجبلية، في حين كتب د.فاضل عبدالواحد علي: (وهكذا كانت

---

١٨٩. العراق القديم، ص٢٢٧ .

١٩٠. ن.م ص٢٣٠ .

البـدايات الأولى للإنسـان فـي شـمـال وادي الرافـدين منذ وجـوده في الكهـوف(في حـدود ٥٠-٦٠ ألف سنة قبل الميـلاد) وحـتى أدوار القـرى الزراعية الأولى التي تعرف بين الباحـثين بأدوار «جرمو» و «حسونة» و «حلف» على التوالي ومن هنا بدأت المقومـات الحضـارية الأولى بالإنتشار صـوب الجنوب الى المنطقـة التي عـرفت في العـصـور التـاريخـيـة ببـلاد سومر)[١٩١] .

ومن ثـم يتـحـدث عن انجـازات السـومـريين الرائدة فـيـقـول:(ان هذه المنجزات الحضـارية، فضـلا عن مسـائل فكرية ودينية أخـرى، أصـبحت اليوم من السمـات المميزة لشـعب عريق وموهوب، عاش فـي العراق منذ عصور قديمة جدا ألا وهو الشعب السومري)[١٩٢] .

وفي مناقشة مستفيضة لآراء الباحثين وملاحظاتهم وفرضيـاتهم المبنية على الرسـوم والفـخـار والمعـابد و(الكور) يقـول د.فـاضـل (ان هذه الملاحظات مـجتمـعة كانت من الأسباب التي أدت ببعض البـاحثين الى القـول بأن الموطن الأصلي للسـومـريين كـان في منطقـة جـبلية قـبل ان ينزحوا الى السهل الرسوبي في جنوب العراق)[١٩٣] .

فـهو هنا لم يفصح برأي واضح ثابت وانما عزى يقين الموطن الأصلي الى رأي العلمـاء. بينمـا نجـد هنري فـرانكفـورت يسـهب في بيـان تأثير الجبل في مـعتقدات السـومريين الدينية وانعكاسـاته في مـختلف ضروب انتـاجـاتهم، الأدبيـة والتـشكيليـة، ومع انه حـاول التـدليل على مـجيء السـومريين من عيـلام الإيرانية بالاعتمـاد على التشـابه بصنع الفـخـار

---

١٩١. من الواح سومر الى التوراة، ص١٨ .

١٩٢. ن.م، ص١٩ .

١٩٣. ن.م، ص٢٦ .

العيلامي والسومري بقوله: (ان الخزف الذي صفه القدماء في جنوب ما بين النهرين يبين أنهم جاءوا من فارس)[194] ومع ان الاعتماد على صنع الفخار في تحديد أصل السومريين ضعيف إذ لا يزال مثار جدل ونقاش إلاّ أن هـ. فرانكفورت يوضح المعاني التي يرمز اليها الجبل لدى سكان ما بين النهرين ويتحدث عن المعابد المدرجة وعن مختلف أنواع الرسوم والنقوش التي فيها نباتات وحيوانات جبلية أضافة الى صور للآلهة والجبال والمياه، أي كل الحياة الجبلية، لها ما يمثلها أو ما يرمز إليها أو مصورة لدى السومريين[195]

المتأثرين بخلفية تمتد الى ماضيهم السحيق، ونشير اخيرا الى الإسهامة الواسعة في النقاش التي اجراها سيتون لويد وهو يتحدث عن أسلاف السومريين في نهاية الفصل الثالث والفصل الرابع برمته مكرس (لسكان شمال العراق السابقون للكتابة)[196]

ويرى بأن الآثاريين:(قد تأثروا بالدليل الغالب (المؤكد) للإستمرارية الحضارية بين عصري العبيد والوركاء. وان استمرارية العقائد الدينية والطقوس تشكل بالنسبة للآثاري الدليل الوحيد المقنع على وجه الخصوص)[197] .

لقد أعتمد في نقاشه على نتائج حفريات البعثات الآثارية في المواقع الآثارية بشمال العراق وجنوبه وعلى دراسة صناعة الفخار ومقارنة

---

١٩٤. فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمه ميخائيل خوري، ط٢، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٧ .

١٩٥. ن.م، ص ٦٨،٦٩،٧٠،٧١ والهامش رقم (١) ص٧٠ .

١٩٦. ن.م، ص٦٣–١٠٠ والفصل الرابع بين ٧٣–١٠٠ .

١٩٧. ن.م، ص٧٠ .

انواعه في المواقع المختلفة وبه رد على الزعم الخاطىء الذي يُرجع أصل السومريين الى دلمون(البحرين) حيث أكتشف في غربه أواني فخارية مبينا أن (دليل الأشعة النتروئية الذي توفر في الآونة الأخيرة أظهر بأن الفخار الذي استعمله هؤلاء المستقرون هو بالواقع مستورد من بلاد سومر التي لابد وان كانت صلتهم بها صلة مستوطنين أو تجار)[198]

---

١٩٨. ن.م، ص٢-٧١ .

المبحث الثامن

عائدية اللغة السومرية وانحدار السومريين الجنسي

خلّف السومريون تراثا حضاريا ضخما، أمتد تأثير اشعاعات إنجازية، كما هو معروف، الرائدة المبدعة، أفقيا عبر مساحات جغرافية شاسعة من بلدان الشرق الأدنى، وعموديا خلال آلاف السنين من تاريخ تطور الحضارة الإنسانية. وإذا أفلحت جهود واصلت بدأب خلال القرن والنصف المنصرمين وعلى ضوء التنقيبات والكشوفات الآثارية وحل رموز الكتابة السومرية المسمارية والدراسات المقارنة للقى الهياكل العظمية والأواني الفخارية والرسوم والنقوش والأنصبة، من الاحاطة الواسعة بمختلف انشطة السومريين العقائدية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية المتقدمة. بيد أن العلماء، المختلفة منطلقاتهم وانحداراتهم، اخفقوا في التوصل الى رأي ثابت قاطع موصد بصدد موطن السومريين الأصلي[مهدهم] وأسلافهم وعائدية لغتهم وانتمائهم العرقي(الجنسي، الاثنوغرافي) برغم محاولة بعضهم التعمق في معرفة الظروف والعوامل التي مكنت السومريين على تكوين بنيتهم الذهنية الحضارية، لقد اسهبنا، أعلاه، نسبيا، في تفاصيل أختلاف العلماء فيما بينهم حول موطن السومريين وأسلافهم، وقد نسبنا المنطقة «الجبلية الشمالية» مهدا لهم وأعتبرنا سكانها أسلافا للسومريين. وبقي علينا ان نستعرض الإفتراضات والتخمينات التي ذكرت عن عائدية اللغة السومرية وعن انتماء السومريين الجنسي.

المبحث التاسع

اللغة السومرية

صعب على العديد من العلماء تصنيف اللغة السومرية الى أية عائلة لغوية (Family of Languages) [199] قديمة أو حديثة معروفة.

ولا تكمن علة عدم التمكن من حسم موضوع عائدية اللغة السومرية الى ما تميزت به من خصائص لغوية فحسب، بل لإختلاف العلماء، كما مر بنا، حيال موطن السومريين الأصلي (مهدهم) وحول اسلافهم، أيضا، لذلك جاءت أغلب افتراضاتهم ضعيفة ومتجاوزة أحيانا، الأسلوب العلمي لإنطلاقها من وجهة نظر متعنصرة (وكذلك الحال بالنسبة لضعف القدرة على التحديد العرقي للسومريين). ومع صعوبة التصنيف اللغوي والتحديد العرقي فأن بعض الدراسات الجادة استطاعت ان تظهر خصائص ومميزات هذه اللغة المتميزة الفريدة فالمختص بالسومريات ص.ن. كريمر يقول: (ان اللغة السومرية هي ليست لغة سامية ولا هندية أوربية، بل هي من فصيلة اللغات المعروفة بـ(اللغات الملصقة)[200] المتمثلة

---

١٩٩. حول المقصود بالعائلة اللغوية كتب الأستاذ طه باقر:(مجموعة من اللغات منحدرة من أصل واحد ولذلك فهي تتشابه في مفرداتها الأساسية معنى ولفظا (ولكن ليس الى حد التطابق) وفي نحوها أي تراكيبها وأساليبها اللغوية)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٥٨، الهامش.

٢٠٠. لقد ورد مرادف اللغات الملصقة باللغة الإنكليزية مخطوءً في كتاب عرب وآكراد للمقدم منذر الموصلي على الصورة الآتية Acclutinative ص٩٧ وكذلك Arain والصحيح هو Aryan أما الأريان فهو نسبة الى آريوس، انظر قاموس اكسفورد ص٣٤-٣٧-٣٧٥ وقاموس المورد ص٦١-٦٥-٤٦١ .[ق. اكسفورد ط١٩٨٦ والمورد طبعه، ١٩٧٠]

باللغات التركية والهنغارية والفنلندية ولكن ليس في هذه اللغات، على كل حال، ما يدل على صلة نسب وثيقة باللغة السومرية التي تعتبر فريدة من نوعها وليس لها صلة بأية لغة معروفة حية أو ميتة)[٢٠١] .

ويرى هـ. ساكز ان اختلاف العلماء حول موطن السومريين الأصلي يرجع الى صعوبة لغتهم الملصقة وغموضها مما دفع بعضهم لمقارنتها، وفي غالب الأحيان بأسلوب غير علمي، بعدد كبير من اللغات الأخرى، وفي عداد تلك اللغات عد هـ. ساكز اللغات: الصينية والتبتية والدرافيدية والهنغارية وبعض اللغات الأفريقية وجزر المحيط الهادي والباسك والهنود الحمر بل وحتى لغة الفولاپيك (Volapiek) [٢٠٢] حسب زعم عالم يهودي متعصب والذي يرى بأن اللغة السومرية لم تكن اصلا لغة طبيعية حية وانما هي من صنع كهنة بابل الساميين. وفي تعقيبه على هذا التعصب العقائدي والعرفي ضد السومريين قال هـ. ساكز موضحا بأن لا علاقة للغة السومرية باللغة السامية وبالهندو – أوروبية فهي ملصقة بتركيبها ولعلها ذات نغم[٢٠٣] .

يؤكد الآثاري والطبيب الفرنسي جورج رو، وهو يتحدث عن أصالة الحضارة السومرية لأن مقدمات عناصرها في معظمها عراقية، يؤكد على الترابط النسبي بين سكان العراق الشماليين الجبليين والجنوبيين

---

٢٠١. الأساطير السومرية، ص٤٤ .

٢٠٢. عظمة بابل، ص٥١ هامش (١) وكتب المترجم د.عامر سليمان:(وهي لغة ابتدعها أحد الألمان عام ١٨٧٩ م في محاولة منه لجعلها لغة عالمية، كما يشير الى ذلك أصل الكلمة الألماني Vola بمعنى «عالم» بمعنى كلام غير انها لم تلق القبول ولم تستعمل قط لهذا الغرض).

٢٠٣. ن.م، ص٥٢ .

السهلين وعلى تعاقب التطور الحضاري بين الشمال والجنوب[٢٠٤] ويحدد الآثاري النمساوي المختص بالآشوريات «ليو أوينهايم» أصل السومريين بالمناطق الجبلية لذا فأن لغتهم هي احدى اللغات المنحدرة من المناطق الجبلية الى السهل الجنوبي، حدد ذلك بقوله:(ولا يزال الاندماج اللغوي للسومريين غامضا، حيث انه يمثل احدى اللغات العديدة فقط التي تكلمت بها جماعات انتقلت من المناطق الجبلية الى المناطق السفلى من بلاد ما بين النهرين أثناء القرون التكوينية للعصر الشبيه بالتاريخي)[٢٠٥] لكنه لم يحدد موقع المنطقة الجبلية بالذات كما وأنه من الذين يأخذون بالرأي القائل بوجود لغة قديمة قبل اللغة السومرية تركت مفردات عديدة وتسميات حتى للآلهة فقال:(ومن المرجح ان السومريين قد تبنوا أسلوبا وفناً كتابياًلأستعمالهم الخاص منذ ذلك الحين. ويبدو ان هذا ابتكار حضارة قديمة مفقودة وهي أمّا ان تكون قومية أو غريبة، حيث ان لغتها ذات علاقة بعناصر غريبة في المفردات السومرية بل وحتى في أسماء الآلهة التي عبدت هناك)[٢٠٦] .

وبرغم أنه أشار في هامش الصفحة (٦٢) الى العديد من العلماء الدارسين للنصوص السومرية فأنه يفترض هذا الاحتمال غير المنطقي إذ كيف تسنى للمجهولين، كما وضحنا سابقا، بلوغ مراحل متطورة أكثر

---

٢٠٤ . العراق القديم، ص٨٥،٨٦،٨٧ . وقد ابتدأ بحديثه (هكذا رأينا كيف ان سفوح جبال زاكروس وحوض دجلة شمال العراق قد أصبحا مركزا لإستيطان المزارعين والرعاة في العصر الحجري الحديث منذ (٥٠٠٠) آلاف سنة ق.م ... إلخ) ص٨٥ .

٢٠٥. بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق، بغداد، ١٩٨١، ص٦٢ . وأشار في الهامش (١٦) الى نصوص عالجها علماء عديدون .

٢٠٦. ن.م، ص٦٢ .

مما بلغها السومريون حتى أنهم توصلوا الى الكتابة قبل السومريين، لا شك ان رأي جورج رو، الذي ذكرناه في الهامش السابق (٢٠٤) هو أدق وأكثر واقعية حينما قال: (هكذا رأينا كيف أن سفوح جبال زاگروس وحوض دجلة شمال العراق قد اصبحا مركزاً لإستيطان المزارعين والرعاة في العصر الحجري الحديث منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.. بعد هذا التاريخ بألفي عام تقريبا، يبدأ التاريخ في القسم الآخر من العراق، أي بين وادي دجلة والفرات الجنوبي حيث نواجه مجتمعا منظما ومعقدا بشكل راق)[٢٠٧]وهو يقيس ذلك بحرمان المنطقة من التكوينات السياسية والاجتماعية، وانما تكونت فيه قرىً صغيرة والتي هي أقدم القرى الفلاحية في العالم، فلماذا لا تعتبر مقومات عناصر الحضارة السومرية مستمدة ومعتمدة على تلك البدايات التي أنشأها أسلافهم بالشمال.

يعتبر الآثاري الفرنسي جورج كونتينو السكان الذين لا يمتون بصلة الى الساميين والهندو-أوربيين، آسيويين[Asianie نسبة الى آسيا الصغرى] [٢٠٨] وهم الذين حسب قوله:(إذا لم يكونوا من أهل البلاد حقا، فأنهم كانوا على أقل تقدير من بين أقدم السكان المعترف بهم في آسيا الصغرى، ويؤلفون طائفة مميزة باللغة والممارسة الدينية والطراز الجسماني) [٢٠٩] وفي تعداده للأقوام الآسيويين ذكر السومريين في

---

٢٠٧. العراق القديم. ص٨٥ .

٢٠٨. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد ١٩٧٩، ص١٤-١٥ وترجمت كلمة Asianie الى اسيانيين ونعتقد الأنسب الى الآسيويين.

٢٠٩. ن.م، ص١٤-١٥ .

مقدمتهم فقال عنهم:(تتمثل أقدم الأمثلة لهذه الطائفة بالسومريين(الذين يعتبرون على أكثر احتمال عنصرا متمدنياً في بلاد الرافدين) و الحيثيين الأصليين في آسيا الصغرى والحوريين الذين كانوا يقطنون شمالي بلاد آشور وشرقها، والأعراق التي كانت تمتد على امتداد جبال زاكروس من القفقاس الى عيلام)[٢١٠] .

يرى ج. كونتينو ان عناصر ثلاثة كانت موجودة هي الآسيوية والسامية [أكدية، بابلية، آشورية، كلدانية] وهندو-أوربية. وعن الثالثة الأخيرة تحدث:(وكان العنصر الثالث المميز في غربي آسيا هو العنصر الهندي الأوربي.. لقد كان الهنود الأوربيون عنصرا موجها أو قائدا في هذه الغزوات (الغزوات المتوالية على المنطقة) وقد تركوا سمتهم في البلدان التي افتتحوها من أمثال الحثيين الهنود الأوربيين بالنسبة للحثيين الأصليين الآسيويين والحورين في شمال بلاد آشور والكشيين في بابل، والفرس في إيران)[٢١١] .

ولقد استثنى كونتينو السومريين من التأثير الهندوأوربي، حيث لم يقعوا تحت سيطرتهم ونفوذهم وهو ما يعترف به غالبية العلماء لذلك بقيت اللغة السومرية محتفظة بأصولها وعناصر مميزاتها وأصالتها وأما الشاذ الغريب من المفردات التي عثر عليها مستعملة في لغتهم فلا تعود لغرباء أو لقوم مجهولين، كما ذكرنا سابقا، وانما رواسب موروثة من الماضي البعيد. يرى الأستاذ باقر، بعد أن يعدد اللغات الملصقة الشبيه باللغة السومرية ويوضح الإلتصاق في اللغة السومرية التي لا تمت بصلة الى أي من هذه اللغات الملصقة، يرى ان تفرد اللغة السومرية ربما يعود

---

٢١٠. ن.م، ص١٥، انظر الهامش (٤) عن الحيثيين وآسيا الصغرى.

٢١١. ن.م، ص١٦-١٧ .

الى انتمائها الى لغة قديمة منقرضة حيث كتب يقول: (ولعل أقرب فرضية لتعليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية قديمة أنقرضت في ازمان بعيدة من عصور ما قبل التاريخ ولم يبق افرادها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين، وكانت اقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة)[٢١٢] .

يلاحظ بأن الأستاذ طه باقر لم يشأ ان يشير الى المكان حتى ولو من باب الإفتراض وذلك لأنه لا يعترف بالمنطقة الجبلية كموطن للأسلاف وخلفية للأحفاد ولمسايرته الرأي القائل بوجود مجهولين سابقين في السهل الرسوبي الجنوبي، ومع ذلك فأن أفتراضه بنسبة اللغة السومرية الى عائلة لغوية منقرضة يمكن اعتماده لتحديد صلة السومريين بالجبليين الشماليين. تكلم المقدم منذر الموصلي عن السومريين وعن لغتهم فقال:(فالسومريون هم الشعب الذي توطن العراق القديم وأستولى على وادي دجلة والفرات بأكمله وفرض عليه نظامه الاجتماعي والديني منذ حوالي ٤٥٠٠ قبل الميلاد..أما عن لغته فهي من جملة اللغات التي تعرف باللغات اللاصقة وهي طبعا غير اللغات السامية التي تنتمي الى اللغات المتصرفة)[٢١٣] .

ثم أورد تلخيصاً مكثفا جدا عن هجرات الأقوام الهندو–أوربية من حيث منطلقاتها ومسالكها وتأثيراتها والأقوام والشعوب الآرية المنسوبة لها[٢١٤] وقد تخللتها أخطاء لا بد من تصويبها. فقد عدّ الساسانيين في

٢١٢. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦٠، أنظر تفاصيل شرحه للغة الملصقة ص٥٩–٦٠ .

٢١٣. عرب وأكراد، ص.٩٧ ومرادف اللاصقة بالانكليزية خطأ كما ذكرنا في هامشنا الرقم (٢٠٠) والصحيح هو Agglutinative .

٢١٤. ن.م، ص٩٨ .

عداد القوميات والصحيح ان الساسانية هي دولة في ايران نسبت الى الجد الأعلى للأسرة الحاكمة «ساسان» كما وان بعض المصطلحات وردت غير دقيقة من ناحية عدم تطابق المفردة العربية مع مرادفاتها باللغة الانگليزية حيث كتب: (أما لفظ آري (Arian) فهو أسم مشتق في الأصل من اللغة السنسكريتية ومعناها (نبيل) أستخدمه الهندوس قبلا لتمييز أنفسهم وغيرهم من الشعوب التي تتكلم الهندية الإيرانية)[٢١٥] ان لفظة آري لا تطابقها، هنا، Arian الانگليزية، كما اشرنا الى ذلك في هامشنا المرقم (٢٠٠)، لأن هذه الكلمة تعني او تطلق على الذين يؤمنون بعقيدة آريوس، كاهن اسكندري (ت عام ٣٣٦م) القائلة بأن الأبن (المسيح) غير مساو للأب (الله) في الجوهر[٢١٦] .

فالآري هنا آريوسي وليس آري هندي – اوربي وذلك لأن الكلمة الانگليزية Arian هي المستعملة والمطابقة لكلمة آري المنسوبة الى العائلة اللغوية الهندو-أوربية أو الى الجنس الهندو-أوربي[٢١٧] وكذلك الحال بالنسبة لـ(اللغات الهندية – الايرانية Indo-oropian) فهي غير صحيحة إذ كان ينبغي ان تكتب Indo-Iranian اذا كان المقصود اللغات الهندو-ايرانية Indo-Europian إذ أريد القصد بها الهندو-أوربية.

ان ملاحظاتنا عن بعض هفوات في المؤلف الضخم «عرب وأكراد» لا تقلل أبدا من تقديرنا العالي للجهد العلمي المبذول من قبل المؤلف «المقدم

---

٢١٥. ن.م، ص٩٨ .

٢١٦. قاموس المورد، طبعة ١٩٧٠، ص٦١، قاموس اكسفورد بالإنگليزية ط١٩٨٦ ص٣٤ .

٢١٧. قاموس المورد، ص٦٥، قاموس اكسفورد، ص٣٧، قاموس وبستر بالإنگليزية، شيكاغو، ١٩٤٦، ص٣٧ .

منذر الموصلي» ونختم كلامنا عن لغة السومريين برأي الآثاري العراقي والمختص بالسومريات، د.فاضل عبدالواحد علي، الذي قال فيه:(أن اللغة السومرية ليست من اللغات الجزرية[نسبة الى شبه الجزيرة العربية. ح.ق.العزيز] وهي فضلا عن ذلك لغة ليس لها ما يشابهها من اللغات المنقرضة أو المتداولة، مما حمل المستشرقين على تقديم إفتراضات متعددة بخصوص الموطن الأصلي للسومريين)[٢١٨]

٢١٨. من الواح سومر الى التوراة، ص٢٦ . وحول اسباب تضارب الآراء حول اصل اللغة السومرية وموطن السومريين الأصلي، انظر: نفس المصدر، ٦-٢٥ .

المبحث العاشر

انتماء السومريين العرقي

يعقّد مسألة تحديد أنتماء السومريين العرقي، ولاشك، الإختلاف حول الموطن الأصلي لأسلافهم. ولم تكن اللغة ولا الدراسات الأثنولوجية (العرقية) والأنثروبولوجية [دراسة الإنسان]المعتمدة على بقايا الهياكل العظيمة بقادرة على حسم المسألة بصورة قطعية مما شجع على افتراض تخمينات مختلفة متباينة، قد أتينا على ذكر بعضها آنفا. وتلافيا للإطالة والتكرار سنذكر أهم المعالجات والآراء بخصوص انتماء السومريين العرقي مع التذكير بأن غالبية العلماء أقروا بعدم صلة اللغة السومرية بأية لغة معروفة، قديمة كانت أو حية، مما يسمح بترجيح أصالتهم واستقلاليتهم عن الساميين والهندو-أوربيين عرقياً ولغوياً، وبالتالي يرجحان كفة تنسيبهم لسكان العراق الشماليين الجبليين القدماء.

تصنف الجماجم الى صنفين كما ذكرنا سابقا، وهي:

١- الرؤوس الطويلة (Dolichocephalie) وفيها نسبة الطول الى العرض أكبر وتمثل بشكل عام بسكان حوض البحر المتوسط.

٢- الرؤوس العريضة أو المدورة (Bhachycephalic) وفيها يتساوى تقريبا الطول مع العرض، وتتمثل في أقوام أوربا الوسطى وفي أرمينيا[٢١٩] .

---

٢١٩. أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٦١ .

ان الذي جعل العلماء في حيرة من أمرهم بصدد تحديدإنتماء السومريين العرقي هو العثور بين بقايا الهياكل العظمية للسومريين على جماجم طويلة وأخرى عريضة، فإلى أي المجموعتين ينتمي السومريون؟ يقول ص.ن. كريمر:(كان السومريون، وهم الشعب الذي لا يزال أنتسابه العرقي واللغوي غير معروف تماما)[220]ويقول هـ. ساكز:(ومهما يكن من أمر، فأن المعترف به حاليا أنه ليس هناك من بين العلماء من ذوي السمعة من يحاول أن يحل مشكلة أصل السومريين على أسس لغوية فقط. وان علم الاجناس البشرية يُقدم الأدلة المستندة الى بقايا الجماجم البشرية إلا أن تفسير تلك الأدلة مازال موضع خلاف كبير)[221] .

ويشير (ج. رو) الى الصعوبة بقوله:(وكل ما نملكه لحل مشكلتنا هي البقايا العتيقة التي تتحدث عن نفسها بنفسها والتي تكون قليلة الفائدة عندما يتعلق الأمر بإعادة بناء الحوادث التاريخية والتحركات العرقية)[222] .

عد ج. كونتينو السومريين من ضمن الآسيويين أهل البلد أو أقدم السكان المعترف بهم في آسيا الصغرى تمييزا لهم عن الساميين والهندو–أوربيين وقال عن هؤلاء الآسيويين Asianie: (وكانت مقاسات مثل هذه الجماجم التي اكتشفت أثناء التنقيب متشابهة في الواقع مع المظاهر التي انتجها نحاتوهم، ولكن إذا ما تقبلنا دليل نصبهم، فأن مظهرهم الجسماني كان متميزا بالأنف الأقنى الضخم، وبالجبهة الواطئة، وبعضم القحف العميق المائل ومؤخرة الرأس البسيطة، فهذه المظاهر تعتبر

٢٢٠. الأساطير السومرية، ص١٩ .

٢٢١. عظمة بابل، ص٥٢ .

٢٢٢. العراق القديم، ص٧–٨٦ .

نموذجية للطائفة الأرمنية الحديثة)[٢٢٣]. كما يرى بأن أقدم الأمثلة لهذه الطائفة تتمثل بالسومريين (الذين يعتبرون على أكثر أحتمال عنصرا متمدنيا في بلاد الرافدين)، والحيثيين الأصليين في آسيا الصغرى، والحوريون الذين كانوا يقطنون شمالي بلاد آشور وشرقيها، والأعراق التي كانت تمتد على امتداد جبال زاغروس من القفقاس الى عيلام. [٢٢٤]

وينفي الاستاذ طه باقر (امكانية الافادة من دراسة البقايا العظمية ليستدل منها عن العرق أو «الرس»(Race) الذي ينتمي اليه السومريون وذلك لأن تلك البقايا العظمية لم تزود الباحثين المختصين بموضوع الأنثروبولوجيا إلا بمفاهيم عامة غامضة لا تفيد في حل القضية. فهي تشير الى اختلاط عرفي منذ أقدم العصور. فقد وجد نوعان من البشر، ذوو الرؤوس الطويلة وذوو الرؤوس العريضة)[٢٢٥] .

وكتب ج.هـ. برستد عن السومريين:(ان الجبليين الذين أقاموا شرقي وشمالي وادي الفرات لم يكونوا ساميين ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كانت نازلة ببادية العرب ويتعذر ان نجد لهم أقل صلة بالأجناس الأخرى المهمة التي نعرفها. ومنذ عهد عريق في القدم حيث كانوا لا يزالون يستعملون الأدوات الحجرية قطع بعضهم مضايق الجبال الشرقية وجففوا قبل السنة ٣٠٠٠ ق.م الأراضي الغمقة في جوار مصبّي الرافدين وصيروها صالحة للزراعة)[٢٢٦] .

واشار ج.هـ بريستد في الهامش موضحا المقصود بالجبليين بقوله:(ان

---

٢٢٣. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص١٥ .

٢٢٤. ن.م، ص١٥ .

٢٢٥. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦١(بتصرف).

٢٢٦. العصور القديمة، ٨١ .

هؤلاء الجبليين كانوا -بلا مراء - و من الجنس الأبيض ولا يظهر أن لهم أقل قرابة بالجنس الهندي الأوربي الذي كان قد انتشر في البلاد الواقعة الى الشمال والشرق من بحر قزوين منذ زمان قديم جدا. واستولوا(يقصد الجبليين المنحدرين صوب السهل الجنوبي - ح.ق. العزين) تدريجيا على القسم الجنوبي من سهل شنعار فدعيت المنطقة التي أستولوا عليها سومير)[٢٢٧] .

وكتب المقدم منذر الموصلي:(والسومريون هم مزيج بشري من شعوب البحر الأبيض المتوسط ذوي الجماجم المستطيلة، ومن شعوب القبائل الأرمنية التي تتميز بإستدارة الجمجمة وضخامة البنية الجسمية واعتدال القامة والأنف الرفيع الطويل الذين يقطنون في المنطقة الجبلية من الشمال الشرقي لمنطقة الشرق الأدنى)[٢٢٨] .

يرى د. فاضل عبدالواحد بأن السومريين أمتداد للشماليين الجبليين عندها قال:(لحضارة العراق جذور موغلة في القدم تمتد الى أيام الكهوف وما يعرف بمرحلة «جمع التوت» التي سبقت تعلم الانسان الزراعة. هنا في شمال القطر وجد المنقبون أقدم آثار لإستيطان الإنسان الذي سموّه «انسان شاندر»)[٢٢٩] .

ثم يتحدث عن التطورات التي حصلت في الشمال واعظمها انجازاً تدجين نباتات وحيوانات برية وتعلم الزراعة في حدود ٩٠٠٠ ق.م وبعدها يقول :(وهكذا كانت البدايات الأولى للأنسان في شمالي وادي الرافدين منذ وجوده في الكهوف (في حدود ٥٠-٦٠ الف سنة قبل

٢٢٧. ن.م، ص٨١، الهامش رقم (١)

٢٢٨. عرب وأكراد، ص٩٧ .

٢٢٩. من ألواح سومر الى التوراة، ص١٧ .

الميلاد) وحتى أدوار القرى الزراعية الأولى التي تعرف بين الباحثين بأدوار «جرمو» و«حسونه» و«حلف» على التوالي ومن هنا بدأت المقومات الحضارية الأولى بالأنتشار صوب الجنوب الى المنطقة التي عرفت في العصور التاريخية ببلاد سومر. ان اقدم استيطان في السهل الرسوبي يعود تاريخه الى ٤٠٠٠-٤٥٠٠ قبل الميلاد ويتمثل في دور العبيد)[٢٣٠] وقد رد على افتراضات وتخمينات العلماء حول أصل السومريين وموطنهم الأصلي وعن أسبقية مجهولين متطورين في السكنى في السهل الرسوبي الجنوبي بالإعتماد على وجود انقطاع حضاري ومفردات وتسميات غريبة في اللغتين السومرية والأكدية، فرد قائلا:(في اعتقادنا ان هذه الفرضية، على علم ومكانة القائلين بها.. لا تخلو من نقاط ضعف ومن نقاط أثبتت الدراسات اللاحقة عدم دقتها)[٢٣١] ثم يرد على نقاط الضعف ويؤيد قدم استيطان السومريين ويناقش موضوع المفردات الدخيلة التي قيل ان السومريين استعاروها من أقوام سبقوهم بالإستيطان فيذكر:

١- ان اللغة السومرية منذ اكتشاف وجودها وحتى الآن لا زالت لغزا معقدا من حيث اصولها القديمة، أي العائلة اللغوية التي ترجع اليها.. لذلك فأن البحث في الكلمات الدخيلة وتشخيصها ليس أمرا سهلا.

٢- ثبت ان بعضا من اسماء الحرف المنسوبة للفراتيين لم تكن قراءتها دقيقة مثل بستاني nuqarib وسمّاك Shu-qa فهي سومرية بالأصل.

٣- ثبت ان عددا من أسماء الحرف السومرية تعود الى أصل أكدي استعارها السومريون منهم بحكم اتصالهم بهم.

---

٢٣٠. ن.م، ص١٨ .

٢٣١. ن.م، ص٣٤ .

٤- ثبت ان بقية المفردات المعتبرة دخيلة والخاصة بأسماء الحرف بأنها سومرية الأصل وانها موجودة باللفظ نفسه تقريبا باللغة الأكدية وهي غيض من فيض مما دخل اللغة الأكدية من الكلمات السومرية[٢٣٢] .

ويستخلص د.فاضل في الأخير:(كذلك كله فأننا نرى في الخصائص المميزة للحضارة السومرية، التي بدأت في النضج منذ العصر الشبيه بالكتابي، نتيجةً وامتداداً طبيعيين لمدنيات ادوار عصور ما قبل التاريخ السابقة مثل دور العبيد في الجنوب وأدوار حلف وحسونة في الشمال)[٢٣٣] تشعبت سبل البحث لبلوغ الأصل العرقي الذي انحدر منه السومريون ولما كان التشبث باللغة وعلم الأعراق لا يجدي نفعا كبيرا، صار لزاما البحث في مجالات أخرى، قد تلقي ضوءاً ينير السبيل بشكل أفضل، كالبحث في الموطن الأصلي للسومريين وفي بنيتهم الذهنية الحضارية، وهو ما اتاح لنا، كما لمس القارىء، التوصل الى ايجاد صلة النسب بين السومريين الأحفاد وبين الجبليين الشماليين الأجداد، بعد ان انهارت معظم الافتراضات والتخمينات أمام المستجدات من الدراسات.

---

٢٣٢. ن.م، ص٣٤-٣٨ بتصرف.

٢٣٣. ن.م، ص٣٨ .

القسم الثالث

الأكراد والسومريون والنسب الموحد

المبحث الأول

التناظر والإختلاف بين السومريين والأكراد

عالج البحث في قسمه الأول الأصول الكردية وفي قسمه الثاني الأصول السومرية وتوصل بعد استعراض ومناقشة افتراضات وتخمينات الى ان الأكراد القدماء ينتمون الى سكان العراق الشماليين الجبليين ومن هناك انحدر قسم منهم الى الشرق وانساح آخرون الى الشمال والى الغرب ولما تعرضوا لموجة هندو-أوربية غازية تأثروا بها واصبحت لغتهم الكردية، بلهجاتها المختلفة، في ايران وتركيا والعراق، منتمية الى العائلة الهندو-أوربية اللغوية. فالذين فضّلوا البقاء في مناطقهم الجبلية المنعزلة ظلوا أسارى ظروفهم البيئية الشحيحة القاسية، لذلك تعثر مسار تطور بُنيتهم الذهنية الحضارية وعسر عليهم مواكبة مشاعل أنوار الثقافة المتقدة لدى مجاوريهم في ايران والعراق وسوريا وأرمينيا. بينما تمكن السومريون وهم أحفاد سكان العراق الشماليين الجبليين أيضا من تطوير ظروف بيئتهم لصالح نشاطهم الاقتصادي فتمكنوا من اجتياز عائق التخلف لينطلقوا في ابداع البناء الحضاري وتطوير الموروث الذي أكتسبوه من الشمال قبل انحدارهم صوب السهل الرسوبي بجنوب العراق لإستصلاحه والأستقرار فيه. ولما لم يتعرضوا للموجة الهندو-أوربية الغازية فقد احتفظت لغتهم الفريدة بأصالتها وانتمائها للأصل الشمالي الجبلي. لقد مكنهم ارتقاء اسلوب الانتاج ومستواه في تطوير حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية فتطورت وتوسعت القرى الفلاحية

الشمالية في الجنوب الى مدن ذات علاقة اجتماعية وأنظمة سياسية متطورة، حكومات المدن، فجر السلالات، وابتدعوا الكتابة وسنّوا القوانين ووضعوا مبادىء الحساب والهندسة والفلك وشيئا من الفلسفة، كعلاقة جدلية بين تطور أسلوب الانتاج ومستواه وبين نمو الوعي والأدراك، بينما بقي الأكراد في ظروفهم القاسية يعانون العوز حيث استمر لديهم جمع القوت الى جانب انتاج القوت، الذي كان مستواه، وأسلوبه ضعيفا وبقي استهلاكيا بينما الأنتاج الزراعي لدى السومريين اصبح بضائعيا يدخل الفائض منه سوق التبادل التجاري.

كانت القبائل الكردية تعاني من التشرذم وصراعات بين الأمراء ورؤساء القبائل من أجل الزعامة وكانوا كثيراً ما يغيرون ويغزون السهل الرسوبي وقد عانت حكومات المدن السومرية ودولها والدول الأكدية والبابلية والآشورية من هجمات القبائل والإمارات الكردية. والسؤال الذي يبرز من ثنايا هذا العرض هو اذا كان الأكراد القدماء والسومريون ذرية سلف واحد فكيف حصل الاختلاف بينهما في اللغة؟ وكذلك لماذا كان يحصل بينهما النزاع والحروب؟ والجواب واضح وذلك بسبب الابتعاد المكاني والانقطاع الزماني وتعرض القبائل الكردية لموجة الهندو-أوربية الغازية وتأثرها بلغة العائلة الهندية - الأوربية بينما بقيت اللغة السومرية، بإعتراف العلماء، سليمة نقية وبعيدة عن المؤثرات الخارجية لهذا احتفظ السومريون بلغتهم الأصيلة الموروثة أباً عن جد. وأما الحروب والغزوات الكردية لأراضي السهل الرسوبي الجنوبي، وأكثرها بسبب الفاقة والعوز وفي سنين القحط والجدب، فإنها طبيعية حيث تقوم عادة وفي كل مكان بين الرعاة الجائعين والمزارعين المتخومين، كما وانها ليست الوحيدة التي تقوم بين النسباء والأقارب.

وتاريخ الآشوريين والبابليين مليء بالصراعات الدموية بينما هما من أصل واحد. يشكل عيد رأس السنة الربيعي لدى الأكراد والسومريين كل عام تناظرا بينهما.

ان أساس التشابه بين السومريين والأكراد الأقدمين هو كونهما من ذرية سلف واحد ولكن تنائيهما، بعضهما عن بعض، أوجد اختلافا زاد في شقه البعد الزماني والظرف المكاني، وكان لإختلاف قاعدتيهما الأقتصادية كبير الأثر في سعة الإختلاف بينهما.

المبحث الثاني

الإنتماء الآري

كان لتعرض الأكراد للموجة الهندو-أوربية الغازية أثر آخر، فأنتمى الأكراد الى عائلة اللغات الهندو-أوربية والى الجنس الآري. بينما سلم السومريون، لغةً وعرقاً، من الانتماء الى عائلة اللغات الهندو-أوربية ومن الانتساب الى الآرية، لقد حصل إلتباس ولاشك، لدى كل من الأستاذ فؤاد حمه رشيد (اللغة الكردية، ص١٣) والأستاذ صلاح سعدالله(عن اللغة الكردية وتاريخهم، ص٦-١٤) برجوعهما، كما يبدو، الى جيمس هنري بريستد (العصور القديمة، النص العربي، ص١٣٥) في تفسير مصطلح آري الذي هو في النص الإنكليزي، ولا ريب Aryan وليس Arian أو Iranian «إيرانية».

فالأستاذ فؤاد حمه خورشيد حينما يتكلم عن مجموع القبائل المكونه للشعب الهندي- اوربي يقول:(ولما كان مجموع تلك القبائل يكون شعبا واحداً فأنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة تقريبا أصطلح عليها أسم (اللغة الهندو- أوربية) تفرعت منها اليوم جميع اللغات التي تتكلم بها الشعوب الناطقة باللغات الآرية)[٢٣٤] وفي تعليقه على اللغات الآرية الذي اورده في الهامش المرقم (١٢) في الصفحة (١٣) قال:(ان لفظ «آري» استعمل خطأً ليدل على أسلاف الشعب الهندو- أوربي، والحقيقة ان لفظ -آري- مشتق

٢٣٤. كراس «اللغة الكردية»، ص١٢ وانظر الهامش رقم (١٢)

من الأسم اليوناني (يقصد التسمية اليونانية – ح.ق.العزيز)الذي اطلقوه على هضبة ايران الممتدة من جبال زاگروس غربا وحتى نهر السند شرقا، حيث كانت هذه المنطقة تعرف آنذاك بإسم –آريانا– والتي أشتق منها اسم ايران الحالي. راجع براستد، جيمس هنري، المصدر السابق، ص١٣٥)[٢٣٥] .

ويحاول الأستاذ صلاح سعدالله ان يبرهن على ان الآرية هي الإيرانية وان الإيرانية هي الآرية سواء كانت ايران أو فارس فيقول: (لأن مصطلح «ايران» مرادف تماما لمصطلح فارس، اي ان ايران تعني عرقيا «بلاد فارس» أو «ارض الفرس» «The Land of persians» والمصطلح قديم، لكن استخدامه المعاصر حديثاً نسبياً)[٢٣٦] وقد جرّه هذا الى ان يعتبر تسمية ايران مصطلحا عرقيا جغرافيا ولكن في مناقشة لنا سابقة، بيّنا بأن تسمية إيران مصطلح جغرافي فحسب، لأن إيران، كما قلنا آنفا ومراراً، تضم قوميات متعددة من بينهم الفرس.

لقد سبق لنا مناقشة بعض هذه الآراء[٢٣٧] .ونضيف عليها بأن المقصود بلفظة آريين، (العصور القديمة، ص١٣٥ والهامش رقم «١» الترجمة العربية)، هو الآريين المحرّفة عن الإيرانيين، ولا شك ان الاستاذ داود قربان، مترجم كتاب العصور القديمة لم يكن متوقعا ان يحصل إلتباس في فهم المراد من ترجمة Aryan الى آريين حيث ورد النص في المتن:(حوالي السنة ٣٠٠٠ ق.م وفي هذا المكان«شرقي بحر قزوين» أُسست أُمة عرفت بالآريين)[٢٣٨] وفي الهامش رقم(١): (يظهر انه لم يكن

---

٢٣٥. ن.م، ص١٣ هامش رقم ١٢ .

٢٣٦. كراس. عن لغة الكرد وتاريخهم، ص٨ .

٢٣٧. أنظر: هوامش بحثنا الحالي من ١١٨–١٢٨ .

٢٣٨. العصور القديمة، ص١٣٥، انتصار الحضارة، ص٢٢٦ .

لأسلاف الشعب الهندي الأوربي أسم عمومي يشمل قبائلهم كلها تحت أسم واحد. وكثيرا ما كانوا يتسمّون بإسم «آريين» وهذا ليس بصواب لأن لفظة «آريين» المشتق من ايران وإيرانيين)، كانت تدل على مجموع قبائل هي جزء من الشعب الأصلي انفصل عن الأصل وموطن البلاد التي الى الشرق من بحر قزوين فروقا عديدة. فحين نسمع ان لفظة «آريين» استعملت للدلالة على الشعوب الهندو-أوربية، لنذكر ان هذا الأستعمال - وان كان شائعا - خطأً من وجهة التاريخ، فالآريون هم ذرية شرقية للشعب الهندي - الأوربي الأصلي[٢٣٩] . انني وان كنت لم اطلع على النسخة الانكليزي من كتاب العصور القديمة وانما اعتمدت على النسخ المترجمة للعربية ولكنني لا يخامرني ادنى شك بأن المرادف لكلمة آري هو Aryan وليس iranian . وحينما تحدث ج.هـ. بريستد عن تفرق القبائل الهندو-Bوربية الى شطرين، شرقية وغربية، قال في المتن عن الأخيرة:(والقسم الآخر بقيت قبائله محافظة على الأسم القديم «إيران» وتقدم بعد تركه وطنه الأصلي نحو الغرب والجنوب الغربي الى الجبال المتاخمة للهلال الخصيب وهنا ألقى ناسه عصا الترحال ودعوا إيرانيين، وكان منهم قبيلتان أشتهرتا بالبأس والشدة وهما الماديون والفرس)[٢٤٠] وكتب شرحا في الهامش رقم (٢):(اطلقوا أسمهم على النجد الإيراني الممتد من جبال زاغروس الى نهر السند شرقا. وكانت هذه المنطقة معروفة في أيام اليونان والرومان بإسم «اريانة - Ariana» المشتقة مثل ايران، طبعا آريان من آري)[٢٤١] .

---

٢٣٩. ن.م، ص١٣٥، الهامش «١» انتصار الحضارة، ص٢٢٦ .

٢٤٠. ن.م، ص١٣٥-٢٢٦ .

٢٤١. ن.م، ص١٣٥، الهامش رقم (٢) .

هنا يتضح بأن الترجمة العربية لإيران هي لمرادفتها الأنگليزية (Iran) وآريانة لكلمة Ariana وكذلك كلمة آريان هي الأخرى ترجمة لكلمة Arian علماًبأن كلمة (Arian) التي تترجم الى آري لا تعني كما قلنا سابقا في مناقشتنا للمقدم منذر الموصلي، الآري المنسوب الى العائلة الهندو-أوربية اللغوية والعرقية، وانما تعني آريوسي، وهو المنسوب الى الكاهن الأسكندري آريوس. كان ينبغي أيضا الرجوع الى النص الإنگليزي لتلافي الالتباس في ترجمة المرادفات ولإجلاء الحقيقة بصورة أدق وأوضح لأن ما ذكره الأستاذ فؤاد حمة خورشيد لا يتطابق مع كلام ج.هـ. بريستد، وهو ينقل عنه، كما اشار بشكل صريح، لأن ما ورد في الهامش رقم «٢» الصفحة (١٣) من كراس اللغة الكردية فيه اختلاف مع كلام بريستد الذي في متن الصفحة ١٣٥ وفي الهامشين (١و٢) من نفس الصفحة.

إن ج.هـ. بريستد لم ينف التسمية التي تعرف بها كافة الشعوب الهندو-أوربية التي هي الآرية [Aryan] فهي الأصل ولعموم القبائل الهندو-أوربية ولكنه أشار الى ان قسما من تلك القبائل أتخذ تسمية «إيرانية»[Iranian] وحذر ج.هـ. بريستد من تعميم تسمية «ايرانية» على مجموع القبائل الهندو-أوربية لأن هذه التسمية والكلام لبريستد تخص الفرع دون الأصل وقد حدد هذه القبائل المعدودة التي استعاضت عن الآرية بالإيرانية وذكر من أبرزها قبيلتين هما «الماديون» و«الفرس» وبما ان إيران مصطلح جغرافي فحسب لذلك جاز استخدام المصطلح الهندو-إيرانية Indo-Iranian على إعتبار ان القبائل الإيرانية (المنسوبة لإيران جغرافيا لا عرقيا) أتخذت لنفسها الإيرانية تسمية. لا شك ان القارىء الكريم يلحظ الفارق بين ما ذهب اليه كحل من الأستاذين فؤاد حمه

خورشيد وصلاح سعدالله وبين ما عناه المؤرخ ج.هـ. بريستد، وأن سبب هذا الاختلاف، كما ذكرنا آنفاً، يعزى، ولاريب، الى الاعتماد فقط على النسخة المترجمة الى العربية من كتاب(العصور القديمة).

وكان الحرّي بهما ان يتأكدا بالرجوع الى النص الأصلي، لذلك جاء تعقيبا مسهبا ولأن كثير ما عُدّ الماديون فرسا أو ايرانيين بينما هم آريون وبالتخصيص هندو-ايرانيين ولا تعني الايرانية هنا سوى الآرية لأن الآرية جزء من الهندو-أوربية، فقد عرف قاموس المورد [ط. ١٩٧ ص٤٦١] الـ Indo-Iranian بقوله: (الهندية الإيرانية احدى المجموعات الرئيسية ضمن أسرة اللغات الهندية الأوربية وتشمل الفارسية ولغات الهند (الهندية والأوربية) ص٤٦١-٤٦٢).

الخاتمة

لم يكن هينا على باحث غير ذي اختصاص مثلنا الولوج في خضم نقاشات متقاطعة مضى على بعضها «السومرية» أكثر من مائة وخمسين عاما وهي لما تستقر بعد على رأي ثابت وبشكل قاطع لذوي الاختصاص من علماء الآثار وفقهاء اللغة والتاريخ القديم وعلم الأعراق وعلم الإنسان. ومع ان سبيل إسهام غير ذي الاختصاص ليس طلقا ولا هو بصراط مستقيم، وانما تكتنفه صعوبات جمة وإخفاقات متوقعة حتى تعد المشاركة فيه مجازفة حقا، لعتمته وتعقده.

لقد كان التصور أمام الباحث واضحا منذ البداية، منذ ان بدأ بأعداده مقالا لمجلة روشنبيري نوي (المثقف الجديد) والى ان دفعته أمور عدة لأن يجري عليه تحويرا ليغدو مؤلفا يصدر بكتاب.

وكان من بين تلك الدوافع الغموض الذي يحيط بَجوانب عديدة من مواضيع أصول الكرد والسومريين، سواء بسواء، وسعة شقة الخلاف بين مختصين علماء كبار، ولجوء هؤلاء العلماء الى تقديم افتراضات وتخمينات ضعيفة وبعيدة عن الحقيقة والواقع والمنطق العلمي. فكان ذلك كله محفزا ودافعا لإسهام الباحث برغم إفتقاره الى الاختصاصات الضرورية في حقل الآثار والتاريخ القديم والألمامة الضرورية باللغات المعنية وبعلمي العراقة والأنسان، لأن اقتحام ما اكتنف الأصول الكردية والسومرية من دياجير معتمة من دون التزود بتلك المؤهلات يكون شاقا ومحبطا كمن يسير الى الهجاء بغير سلاح. بيد أن هاجسا ملحاً كان

يلوح لنا بالنجاح في بلوغ مسعانا بتقليص ثغرة الخلاف الواسعة بين وجهات نظر العلماء المختصين والباحثين على ان ترفد منطلقاتنا الفكرية ومكتنزاتنا العلمية بمزيد من بحوث هؤلاء المختصين والباحثين ، وان لا نترك قدر الإمكان، رأيا لهم دون نقاش سواء أكان الرأي مع أو ضد ما نراه صائبا، فنعرضه ونناقشه ونقابل افتراضاتهم المتقاطعة بعضها مع بعض للوصول الى استنتاج واقعي ومنطقي علمي، فنضمن بذلك السلامة في هذه المجازفة إذ بدون التوسع في دراسة كافة ما يتعلق بالمسألة المبحوثة يكون الفشل والإحباط وفقدان السمعة العلمية من نصيبنا، لذلك كان رائدنا توسيع أفقنا العلمي مع انتهاج أسلوب البحث العلمي الحديث السليم ولتكون معالجتنا في نسق التجرد الموضوعي المتحررة من سلطان الهوى والتعصب العرقي والعقائدي لنقطف ثمار استنتاجات علمية رصينة موفقة مستندة الى تحليلات علمية دقيقة سليمة ولهذا جاء تحذيرنا من النظرة الأحادية الجانب ومن التعنصر، اللذين يحرمان المبتلي بهما من صفاء الرؤيا ويدفعانه الى منزلقات الهاوية فتحبط اعماله ويهبط مستواه العلمي الى الحضيض في الوقت الذي ينبغي على الجميع السعي لدفع العلم خطوة للأمام.

لقد وجد البحث مدى الدقة العلمية في ربط العلاقة الجدلية بين مستوى وأسلوب الأنتاج وبين تنامي الوعي والأدراك مما ساعد على تعليل الفروق البارزة بين الأكراد الجبليين الشماليين وبين السومريين سكنة بطائح السهل الرسوبي المستنقعية بجنوب وادي الرافدين مع انهما ذرية سلف واحد، كما توصل البحث الى ذلك، حيث تمكن السومريون من التغلب على عوائق ظروفهم البيئية بإستصلاحهم المستنقعات واعدادها للزراعة فتوصل مجتمعهم الى ابتكار الكتابة وتنظيم العلاقات الاجتماعية

والسياسية وتطوير المعتقدات ووضع مبادىء علوم الحساب والهندسة والفلك وشيء من الفلسفة، بينما تلكأ المجتمع الكردي القبلي في بلوغ ذلك المستوى من النضج والتطور. فكان واضحا تباين البنية الذهنية الحضارية بينهما والذي يعود بالطبع الى اختلاف قاعدتيهما الاقتصاديتين.

لقد وجد البحث بخلاف ما ينفيه البعض، ان صلة القرابة النسبية بين السومريين الأحفاد والجبليين الشماليين الأجداد كانت متمثلة لدى السومريين بالخلفية الموروثة عن العهود الجبلية السالفة وأبرز انعكاساتها في معتقداتهم واساطيرهم وملامحهم، ملحمة گلگامش مثلا، حيث ورد الجبل فيها لفظاً ومعنى في مناسبات كثيرة وكذلك في مختلف فنونهم التشكيلية، النقوش والرسوم والمنحوتات والأنصبة، على جدران المعابد والقصور والأختام الأسطوانية، ففيها ما يمثل الجبل وحيواناته ونباتاته ومياهه، وكذلك وجدت الخلفية المتمثلة بالمعابد المدرجة «الزقورات» ليس لعلوها وسموها، فحسب، وانما لتسمية بعضها بالجبل صراحة، وكان مصطلح «كور» بمعانيه المختلفة: الجبل، الأرض الغريبة، الغور، العتمة، والذي يقترب في تلفظه من الكلمة الكردية «قور» القبر (بالعربية)، دليلا آخر على الخلفية الموروثة عن العهد الجبلي. ،إذا كان المجتمع الكردي القديم قد تخلف لأسباب موضوعية عن تطوير بنيته الذهنية الحضارية مع مجاورته أمم متوقدة مشاعل بؤرها الثقافية، في ايران والعراق، وسوريا وأرمينيا، فأنه لم يكن خاملا مغمورا وانما كان له اسهامات في الأحداث الجارية كان بعضها عنيفا، تشهد بذلك النصوص السومرية والأكدية والبابلية والآشورية على مدى الخطورة التي كانت تهدد بها القبائل والإمارات الكردية على تلك الدول . ولما كان البحث قد توصل الى وجود

قرابة نسبية بين السومريين والأكراد، فأنه قد اعد أجوبة لأسئلة محتملة حول الأختلاف بين الأكراد والسومريين، وكان لأشتراكهما في الاحتفال برأس السنة الربيعي في موعده المحدد بنهاية آذار وبداية نيسان من كل عام وبرموزه دليلاً على التناظر والتقارب بينهما بالإضافة الى أمور أخرى. أما الاختلاف بينهما فقد عزاه البحث الى تنائيهما موضعا وزمانا والى اختلاف قاعدتيهما الاقتصاديتين والى تعرض الأكراد دون السومريين الى الموجة الهندو-أوربية الغازية فقد أثرت هذه الموجة الآرية في انتمائهم العرقي واللغوي بإنتسابهم الى العائلة الهندو-أوربية لغويا وجنسياً، بينما سلم السومريون لغة وجنسا من التأثير الخارجي ولهذا بقيت لغتهم (السومرية) هي نفس لغة أسلافهم الجبليين الشماليين. ولما كان بعض العلماء يصر على وجود اقوام مجهولين سبقوا السومريين في السكنى بالسهل الرسوبي الجنوبي وفي الرقي الحضاري ولذلك يرون بأن المفردات الغريبة الموجودة في اللغة السومرية والأكدية معا هي من الموروثات عن هؤلاء المجهولين. بيد ان البحث لم يقر هذا الافتراض الضعيف الذي لا يستند على أدلة مادية ومنطقية. إذ ليس هناك اي أثر مكتشف يسبق تاريخ إستيطان السومريين بالسهل الرسوبي وأما تلك المفردات فهي سومرية أصيلة أو أكدية بحكم الجوار وأغلبها من الموروثات التي احتفظ بها السومريون عن أسلافهم وان لغتهم الفريدة النادرة [الملصقة] التي هي نفس لغة اسلافهم الجبليين الشماليين قد احتفظت بنقاوتها، فالمفردات التي بدت غريبة هي من صميم لغتهم الأصيلة. لقد تم مناقشة ذلك مع مناقشة الإنتماء العرقي واللغوي للأكراد الى العائلة الهندو-أوربية بشيء من التفصيل وخاصة حول مصطلح الآري والإيراني ولم يكن استطرادا مسهباً خارج الصدد. لقد اضطر

البحث لإيراد نصوص كثيرة وطويلة ولما كان البحث معدا بالأساس للنشر كمقال في مجلة ثم أقتضى الأمر الى اعداد ليكون كتابا لذلك لم يسر فيه البحث على نسق واحد وقد برز ذلك في التهميش مما اقتضى التنويه.

المصادر

١- احمد . د.جمال رشيد ورشيد، د.فوزي، تاريخ الكرد القديم، اربيل ١٩٩٠ .

٢- احمد، د.كمال مظهر، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة عن الكردية الأستاذ محمد الملا كريم، بغداد، ١٩٧٧ .

٣- أحمد، د.سامي سعيد، العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، ١٩٧٨ .

٤- ادموندز، سي.جي، كرد وترك وعرب، ترجمه الأستاذ جرجيس فتح الله، بغداد، ١٩٧١ .

٥- أربري. أ.ج، تراث فارس (كتب فصوله أساتذة من المستشرقين) ترجمه محمد كناني، السيد يعقوب بكر، احمد الساداتي، محمد صقر خفاجه، احمد عيسى ويحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٩ .

٦- أوربيلي، يوسف ابكار روفيج، الأعمال المنتخبة، اكاديمية علوم أرمينيا السوفيتية، (بالروسية)، يرفان،١٩٦٣ .

٧- أوربيلي، يوسف ابكار روفيج، الأعمال المنتخبة، المجلد الأول، تاريخ أرمينيا الثقافي والفني، القرون ١٠-١٣(بالروسية)، موسكو، ١٩٦٨ .

٨- اوينهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمه الأستاذ سعدي فيضي عبدالرزاق، بغداد ١٩٨١ .

٩- ايغلتين(الابن)، وليم، جمهورية مهاباد، ترجمة الأستاذ جرجيس فتح الله، بغداد، ١٩٧٢ .

١٠- بارتولد، ف.ف، الأعمال الكاملة الجزء السابع (بالروسية)، موسكو،١٩٧١ .

١١- برتجارد، جيمس ب، الشرق الأدنى القديم، ترجمة الأستاذ سلمان التكريتي تحت عنوان: الأساطير البابلية، بغداد، ١٩٧٢ .

١٢- البدليسي، الأمير شرف خان، الشرفنامة، ترجمه من الفارسية الأستاذ جميل

بندي روژبياني، بغداد، ١٩٥٣ .
١٣- بري، ج.ب. تاريخ الأغريق، الى وفاة الإسكندر الكبير (بالإنكليزية)، لندن، ١٩١٧ .
١٤- بعلبكي، الاستاذ منير، قاموس المورد، بيروت، ١٩٧٠ .
١٥- بريستد، جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، بيروت، ١٩٢٦ .
١٦- ابو بكر، د.احمد عثمان، اكراد الملي وابراهيم باشا، بغداد، ١٩٧٣ .
١٧- تاريخ العالم العام، (بالروسية)، موسكو، ١٩٥٧،(الجزء الثاني).
١٨- الجاف، الاستاذ حسين فيض الله، دليل لدراسة العشائر الكردية، مجلة كروان، (القسم الأول)، العدد ١٤، تشرين الثاني ١٩٨٣، (القسم الثاني) العدد ١٥ كانون الأول ١٩٨٣، ومراجع مختارة عن الثورة الكردية المعاصرة، مجلة شمس كردستان، العدد (١) حزيران ١٩٧١ .
١٩- جليلي. د.جليل جاسم، من تاريخ الإمارات في الأمبراطورية العثمانية، ترجمه الى العربية د.محمد عبد البخاري، دمشق ١٩٨٧ وترجمه من الروسية:الى الكردية د. كاووس قفطان:(كوردەكانى ئيمپراتۆريەتى عوسمانى) بغداد، ١٩٨٧.
٢٠- الحوراني د. يوسف، البيئة الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، بيروت ١٩٧٨ .
٢١- خالفين، الدكتور ن.أ، الصراع على كردستان«القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر»(بالروسية) موسكو، ١٩٦٣ .
٢٢- خزنەدار، د.معروف، مخطوطات فريدة ومطبوعات نادرة، بغداد، ١٩٧٨، ويضمنه:
أ- خودزكو، أ، بحث في اللغة الكردية(اللهجة السليمانية) ص٥٨-٦٨ .
ب- جابا [ژابا]، اليكساندر، موجز حياة طائفة من الشعراء الكرد الكلاسيكيين، ص٦٩-٧٥ .
٢٣- خصباك، د.شاكر، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، بغداد ١٩٧٣ .

٢٤- خصباك، د.شاكر، الأكراد، دراسة جغرافية اثنوغرافية، بغداد ١٩٧٢ .
٢٥- خورشيد،الأستاذ فؤاد حمه، اللغة الكردية، التوزيع الجغرافي للهجاتها، بغداد ١٩٨٣ .
٢٦- خورشيد،الأستاذ فؤاد حمه، العشائر الكردية، (تقرير بالإنكليزية)، ترجمة الأستاذ فؤاد، بغداد ١٩٧٩ .
٢٧- رو، جورج الطبيب)، العراق القديم، ترجمة الأستاذ حسين علوان حسين، بغداد ١٩٨٦ .
٢٨- داندماييف، م.أ، ايران في عهد اوائل الأخمينيين (بالروسية)، موسكو، ١٩٦٣ .
٢٩- داندماييف، م.أ، العبودية في بابل، (بالروسية)، موسكو، ١٩٧٤ .
٣٠- دياكونون، أ.م، جماليات ملحمة كلكامش، ترجمة عزيز حداد، بغداد، ١٩٧٣ .
٣١- رشيد، د.فوزي، ابي سين، آخر ملوك سلالة اور الثالثة، بغداد، ١٩٩٠ .
٣٢- رشيد، د.فوزي، طه باقر حياته وآثاره، بغداد ١٩٨٧ .
٣٣- زكي، احمد، قاموس الجغرافية القديمة.
٣٤- زكي، العلامة محمد امين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمه عن الكردية الأستاذ محمد علي عوني، بغداد، ١٩٦١(الطبعة الثانية).
٣٥- زينفون، حملة العشرة آلاف، ترجمه عن الانكليزية، الاستاذ يعقوب افرام منصور، الموصل ١٩٨٥.
٣٦- ساكز، د.هاري، عظمة بابل، ترجمة وتعليق د.عامر سليمان ابراهيم، فرنسا، ١٩٧٩.
٣٧- ساندرز، ن.ك، ملحمة كلكامش، ترجمها عن الانكليزية الأستاذان محمد نبيل نوفل، فاروق حافظ القاضي، القاهرة، ١٩٧٠ .
٣٨- سعدالله، الاستاذ صلاح، عن اللغة الكردية وتاريخهم، نقد في الثقافة الكردية، بغداد ١٩٩١ .
٣٩- سعدالله، الاستاذ صلاح، المسألة الكردية في تركيا، مرحلة جديدة، بغداد، ١٩٩١ .
٤٠- شير، ادي [رئيس اساقفة سعرد الكلداني الآثوري]، كلدو وآثور، بيروت،

.١٩١٢

٤١- الطالباني، جلال، كردستان والحركة الكردية، بغداد، ١٩٧٠ .

٤٢- الاستاذ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣ .

٤٣- الأستاذ طه باقر، ملحمة گلگامش، بغداد، ١٩٧٥ .

٤٤- الاستاذ طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦ .

٤٥- الاستاذ طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٠ .

٤٦- العزيز، د.حسين قاسم، البابكية، او انتفاضة الشعب الآذربيجاني ضد الخلافة العباسية، بيروت، ١٩٧٤ .

٤٧- علي، د.فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر الى التوراة، بغداد، ١٩٨٩ .

٤٨- علي، د.فاضل عبدالواحد، عشتار ومأساة تموز، بغداد، ١٩٧٣ .

٤٩- علي، د.فاضل عبدالواحد، الطوفان، بغداد، ١٩٧٥ .

٥٠- عواد، الأستاذ گوركيس، ماضي الكرد وحاضرهم في المصادر العربية القديمة والحديثة، بغداد، ١٩٩١ .

٥١- فرانكفورت، هنري، فجر الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٦٥ .

٥٢- فرانكفورت، هـ. ، ولسن، جون.أ، جاكوبن، توركيلد، ما قبل الفلسفة، ترجمة الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا، بيروت ١٩٦٠ .

٥٣- الفردوسي، الحسن بن اسحاق بن شرفشاه، الشاهنامة (ترجمة الى الروسية)، المجلد الأول، [من البداية الى الحكاية عن سهراب] موسكو، ١٩٧٥ .

٥٤- قاسملو، د.عبدالرحمن. كردستان والأكراد، ترجمة ثابت منصور، بيروت، ١٩٦٨، طبعة بيروت١٩٧٠ .[من ذكر اسم المترجم] .

٥٥- قاموس اكسفورد (بالإنكليزية)، اكسفورد، ١٩٨٦ .

٥٦- موجز القاموس الاقتصادي، تأليف جماعة من العلماء السوفيت ، تعريب الاستاذ مصطفى الدباس، دمشق.

٥٧- القاموس السياسي، تأليف بونوماريوف. ب.ن، ترجمة واعداد الاستاذ عبدالرزاق الصافي، بغداد، ١٩٧٤ .

٥٨- الكتاب المقدس(العهد القديم، التوراة) أعدته للنشر جمعية التوراة البريطانية، اكسفورد، بلا.

٥٩- كريستن، آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٧٠ .

٦٠- كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة الاستاذ يوسف داود عبدالقادر، بغداد،١٩٧١ .

٦١- كلنغل، د.هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة، د.غازي شريف، بغداد ١٩٨٧ .

٦٢- كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور،ترجمة الاستاذين سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي،بغداد، ١٩٧٩ .

٦٣- لازاريف، م.س، المسألة الكردية ١٨٩١-١٩١٧ (باللغة الروسية) موسكو، ١٩٧٢ .

٦٤- لازاريف، م.س، كردستان والمشكلة الكردية (بالروسية) موسكو، ١٩٦٤ .

٦٥- لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة دكتور سامي سعيد الأحمد، بغداد، ١٩٨٠ .

٦٦- لي سترانج، كي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس، بغداد، ١٩٣٦ .

٦٧- ي سترانج، كي، أرض الخلافة الشرقية (بالانكليزية) لندن، ١٩٠٥ .

٦٨- مورتكات، د.انطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم. تعريب د.توفيق سليمان، علي ابو عساف، قاسم طوير، دمشق ١٩٧٦ .

٦٩- الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء السوفيت، ترجمة سمير كرم، بيروت ١٩٧٤ .

٧٠ - الموصلي، المقدم منذر، عرب وأكراد، رؤية عربية للقضية الكردية، بيروت، ١٩٨٦ .

٧١- ميشيل، دنكين، معجم علم الاجتماع، ترجمة د.احسان محمد الحسن، بغداد، ١٩٨٠ .

٧٢- مينورسكي، ف. ف. الأكراد، ترجمة د.معروف خزنه‌دار، بغداد ١٩٦٨ .

٧٣- مينورسكي، دراسات في تاريخ القفقاس (بالانگليزية) ، لندن، ١٩٥٣ .

٧٤- نيكيتينا، ف.ب. بليڤسكايا، اي ف، بوزدنينيا، أ.د، ريدي، دي، گي، آداب الشرق القديم (بالروسية) ، موسكو ١٩٦٢ .

٧٥- نيكيتين، باسيل الاكراد، (مترجم للعربية، دون ذكر اسم المترجم) بيروت، ١٩٦٧ .

٧٦- هاملتون، اي.ام، طريق في كردستان، ترجمةج الاستاذ جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧٣ .

٧٧- هستد، كوردن، الأسس الطبيعيةلجغرافية العراق. ترجمه الدكتور جاسم محمد الخلف ١٩٤٨ .

٧٨- ويگرام، دبليو. اي ويگرام، أدگار. تي اي، (مهد البشرية، الحياة في شرق الكوردستان، ترجمة الاستاذ جرجيس فتح الله).